[**الحركة الثقافية – انطلياس**](http://www.mcaleb.org/ar/)

* [Français](http://www.mcaleb.org/fr/)

الخميس, 16 نيسان/أبريل 2015 18:30 |  |  | الزيارات: 3458

**مداخلة د. عصام خليفة حول كتاب د. مروان أبي فاضل**

**"تاريخ لبنان القديم في الكتب المدرسية اللبنانية من القرن التاسع عشر حتى اليوم"**

        عرفته على مقاعد الدراسة في كلية الآداب (الفرع2) طالباً نشيطاً في قسم التاريخ. يحسن القراءة، بقوم باعداد الابحاث، يواظب على الحضور، يناقش بذكاء العارف، يتصف بالتهذيب والخفر في مرحلة انفلات العصبيات والغرائز.

        في مرحلة التخرج كان من البارزين. ورغم دخوله مهنة التعليم، تابع مسيرة الدرس والتقميش مركّزاً على مرحلة التاريخ القديم. ولا شك ان رعاية الوالد الفاضل الدكتور وهيب ابي فاضل رحمه الله، ومكتبته الغنية بالمراجع والمصادر، كانت خير معين له في تقدم مسيرته. في السنوات الاخيرة من مزاولتي التدريس في الكلية تزاملت مع الدكتور مروان ابي فاضل مع رفاق له من الاساتذة الشباب. وقد لاحظت عندهم الجدية والاندفاع ومحبة البحث والعطاء والتفتيش عن المصادر والمراجع الجديدة من اجل الاستمرار في حمل راية تجديد الكتابة التاريخية في الجامعة والمجتمع. وقد تيقنت ان مروان ورفاقه من الاساتذة الشباب قد عقدوا العزم على اصدار الابحاث الجديدة والابتعاد عن مفهوم الاستاذ الناقل للمعرفة فقط، وانما لاحظت انهم مع الاستاذ المجدد للمعرفة التاريخية ايضاً. وعندما احلت الى التقاعد كنت مطمئناً ان في قسم التاريخ – في كلية الآداب (الفرع الثاني)، زملاء اكفياء لهم كل الخصائص المهنية التي تمكنهم من حمل مشعل الاستمرار في تقدم الصفوف الأولى في تجديد الابحاث التاريخية في مجتمعنا. وعلى كل حال اصبحت اميل، في هذه الايام، الى رفع شعار: الاستاذ الجامعي الذي لا ينشر الابحاث الاكاديمية باستمرار، هو استاذ لا يجب ان يستمر في الجامعة. وبالمقابل على الجامعة ان تؤمّن لهذا الاستاذ كل الظروف المادية والمعنوية للبحث.

        ايها السيدات والسادة

        نجتمع هذه العشية امام كتاب جديد للدكتور مروان ابي فاضل، عدد صفحاته 302. ويتألف من مقدمة، وفصل اول يدور حول تعليم التاريخ القديم في لبنان قبل عهد الانتداب،

        وفصل ثانٍ يركز على تعليم التاريخ القديم خلال عهد الانتداب،

        وفصل ثالث يتناول تعليم التاريخ القديم بحسب مناهج 1946.

        وفصل رابع يعالج تعليم التاريخ القديم في لبنان بحسب المناهج الحالية، ويتضمن هذا الفصل اقتراحات جديدة من حيث المنهجية والمضمون.

        ثم هناك خاتمة وستة ملاحق وفهرس اعلام وامكنة ولائحة بالمصادر والمراجع.

        في الفصل الاول عرض مضمون تاريخ لبنان كما ورد عند الأب مارتن Martinاليسوعي.

        ثم مختصر تاريخ لبنان لمؤلفه لحد خاطر. بعده يتوقف عند نيل الارب في تاريخ العرب لمؤلفه اديب لحود.

        وينتقل الى التاريخ العام لمؤلفه فيليب فان نس ميرز، ثم يعرض مؤلف يوسف السودا في سبيل لبنان. الاستنتاج، في هذا الفصل ان هناك اختلافات في النظرة الى تاريخ لبنان القديم. فلحد خاطر ويوسف السودا كان هدفهما توسيع مساحة لبنان، فيما اعتمد مرتين اليسوعي على ما ورد في الكتاب المقدس ليؤكد على تمايز لبنان عن محيطه، اما الكتب الانجليزية فلم تحمل دعوة سياسية للبنان مستقل.

        في الفصل الثاني ثمة مقدمة حول برامج العام 1924 الابتدائية والتكميلية حول مادة التاريخ، والمناهج الثانوية عام 1929.

ومن ابرز الكتب العائدة لتلك المرحلة:

-       مختصر تأريخ سورية ولبنان بقلم احد الآباء اليسوعيين.

-       لبنان وسورية بقلم اديب فرحات

-       العصور القديمة للدكتور جيمس براستد

-       سوريا ولبنان لعمر ابو النصر

-       تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين المصور للاب فردينان توتل

-   تاريخ لبنان الموجز: تأليف فؤاد افرام البستاني واسد رستم لطلبة الشهادة الابتدائية. وابرز ما يميز هذا الكتاب برأي د. أبي فاضل هو غزارة معلوماته التاريخية، والدقة في شرح مراحل التاريخ القديم ووضعها في اطار جغرافي صحيح، وابراز الانجازات الحضارية التي حققها الفينيقيون عبر التاريخ. وقد شدد المؤرخان على فرادة الهوية اللبنانية وتمايزها عن محيطها.

-       تاريخ لبنان العام لادمون بليبل

-       ملخص تاريخ سوريا ولبنان المصور: تأليف زكي نقاش وعمر فروخ

    ويلخص المؤلف في هذا الفصل الى ملاحظة الخلاف الحاد على تاريخ لبنان في عصوره كافة.

في الفصل الثالث ينطلق الباحث من مناهج التاريخ التي صدرت عام 1946 ليعرض ما ورد في بعض الكتب ومنها:

‌أ-        ملخص تاريخ لبنان للصفوف العالية الاربعة لنجيب مخول

‌ب-   العصور القديمة للسنة الاولى الثانوية تأليف لجنة من الاساتذة

‌ج-    سلسلة التاريخ الجديد للدكتور عادل اسماعيل

‌د-       التاريخ في الصفوف الثانوية لوهيب ابي فاضل ولبيب عبد الساتر ومحمود درويش وسعيد الغز

الفصل الرابع والاخير يقسم الى قسمين:

    قسم يتناول الكتب المتعلقة بتعلم التاريخ القديم بحسب المناهج الحالية. والقسم الثاني يطرح اقتراحات جديدة من حيث المضمون والمنهجية والوسائل التربوية.

    بعد عرض التاريخ القديم في المناهج الحالية في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية يعرض الدكتور مروان ما ورد في التاريخ العلمي والوافي بالتاريخ.

    يذكر (ص 207) ان مؤلفي التاريخ العلمي في الطبعة الاولى هم وهيب ابي فاضل، علم العلم، اجود فرنسيس، كريستيان الحلو. والطبعة اللاحقة كانت من تأليف وهيب أبي فاضل، علم العلم، منير سلامه، زياد غمراوي، كريستيان الحلو.

مع العلم ان الطبعة الأولى كانت من تأليف: وهيب ابي فاضل، حسان ابو عكر، عصام خليفة، هاشم قاسم.

والوافي بالتاريخ كان من تأليف علي بدران، وليد الطويل، سمير جلول.

بين ص 252 و 260 يعرض الباحث وجهة نظره في التقنيات الحديثة في تعليم التاريخ القديم.

فعلى صعيد الكتاب المدرسي ثمة مواصفات يذكرها منها:

-       الاخراج الجيد والترتيب

-       اعتماد الصور الملونة

-       لحظ الخرائط التاريخية الدقيقة

-       وضع نصوص ومستندات متنوعة

وهناك شروط لمن يريد ان يؤلف الكتب المدرسية منها:

-       ان يكون من اصحاب الاختصاص في مادة التاريخ

-       ان تتم الاستعانة بالمصادر وان يترجموا النصوص الى العربية

-       الاطلاع على المراجع الحديثة القيمة

-       متابعة المنشورات الدورية

وبموازاة الكتاب المدرسي وشروط المؤلف ثمة تأكيد على اهمية استخدام الوسائل التعليمية المساعدة: كالتلفزيون والافلام وبرامج الكومبيوتر. وفي هذا السياق من واجبات المدارس ان توفر للطلاب والاساتذة الوسائل اللازمة ومنها:

-       مكتبة تاريخية وخرائط تاريخية ورسوم ومنحوتات

-       تخصيص متحف صغير في المدرسة وغرفة لمادة التاريخ والمستندات العائدة لها

-       اجهزة عرض حديثة لعرض الصور والافلام وبرامج الكومبيوتر

    في الخاتمة يخلص د. ابو فاضل الى ضرورة وضع مناهج جديدة لمادة التاريخ بمضمون حديث ومنهجية تربوية متطورة. هذه المناهج تغطي الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية والسياسية والعسكرية والفنية وغيرها. ولا يرى ان هناك تضارب بين كتابة منهجية ومنطق توافقي.

    ويستنتج ان الكتاب المدرسي هو حاجة وطنية لتنشئة جيل لبناني منفتح، يتمتع بحس وطني لا عائلي او طائفي او مذهبي، يقرأ فيه الطلاب المستندات المتنوعة ويحللونها وينقدونها ويرفضون المعلومات والافكار المعلبة والميتولوجيات والايديولوجيات غير العلمية.

    وبالنسبة للتاريخ القديم يولي الباحث الاهمية للواقع الجغرافي واثره على السكان، والتسلسل التاريخي للاحداث والمظاهر الحضارية. وهو لا يؤيد توحيد الكتاب المدرسي لكنه مع تشديد الرقابة على تنوع الكتب من اجل الحفاظ على الشروط العلمية والتربوية والوطنية. ويأمل من وزارة التربية ان تستعين بافضل المؤرخين اللبنانيين لوضع الخطوط الاساسية لمناهج عصرية.

    ايها السيدات والسادة،

    في هذا الزمن حيث تهدم مطارق داعش مدينة الحضْـر ومدينة نمرود وتدّمر متحف الموصل، وحيث تمعن عصابات القتل والسرقة والارهاب بنهب ثروات سورية والعراق الاثرية ينجز لنا الصديق مروان كتاباً قيّماً يستعرض فيه ما ورد في اغلبية الكتب المدرسية عن تاريخ لبنان القديم. وكأنه يقوم بدفاع استباقي يحاول ان يولي ذاكرة شعبنا التاريخية، في المرحلة القديمة، الاهتمام في وعي طلابنا والاساتذة المسؤولين، في هذا السياق يمكن ان نصنّف هذا المؤلف بانه مقاومة تربوية ثقافية للدفاع عن الوطنية والمواطنية في مواجهة كل اشكال التعصب والتفرقة. انه مقاربة علمية تسعى للتحليل والمقارنة من اجل الوصول الى الحقائق العلمية التي يجب ان نسلح طلابنا بها بالنسبة لتاريخنا القديم.

    لقد استند الصديق مروان لانجاز مؤلفه على:

-       59 مرجعاً باللغة العربية

-       84 مؤلفاً وبحثاً باللغات الاجنبية

-       6 مواقع الكترونية

وهذا ما يدل على جدية العمل واهميته. وبرغم وجود بعض الاخطاء الطباعية فان الكتاب صيغ باسلوب سهل وقريب للفهم رغم صعوبات الخوض في موضوعات التاريخ القديم.

**ملاحظات متفرقة:**

1-  في ص 5 ذكر الباحث ان "الحكومات اللبنانية المتعاقبة قد الفت عدة لجان لتجديد المناهج، ولكن محاولاتها باءت جميعها بالفشل. الحقيقة ان الاكثرية الساحقة من اللجان توصلت ليس فقط الى وضع مناهج وانما ايضاً الى انجاز كتب مدرسية. لكن في مرحلة الوصاية السورية كان يتم تدخل من قبلها، كما حصل مع الوزير السابق عبد الرحيم مراد، ومؤخراً كان الخطأ في تدخل بعض السياسيين والاحزاب رغم وجود ممثلين لاغلب الاطراف في لجنة صياغة المناهج.

2-  يذكر الباحث (ص 89) ان بعض المدارس الخاصة لا تلتزم بتعليم مادة التاريخ بحسب المناهج الرسمية. وان بعض المدارس لا يدرّس المادة الا في صفوف الشهادة المتوسطة والنهائية (ص 202) هذا الواقع صحيح وغير صحي ويجدر بكل مسؤول ان يتوقف عنده ويبادر الى معالجته.

3-  يتصف المؤلف بالتواضع العلمي فهو لا يزعم انه اقفل النقاش في الموضوع الذي يعالجه، ففي الصفحة 7 يذكر انه "لا يدعي الاطلاع على الكتب المدرسية كافة" وفي ص 163 يشير الى "انه عجز عن الاطلاع على كافة الكتب المدرسية لتعليم مادة التاريخ مع العلم انه عرض لاغلبيتها" وهو يتحفظ باطلاق الاحكام القاطعة. يقول في ص 241 "مع العلم اننا نبقى بعيدين عن تقديم اجابة قاطعة حول هذه المسألة المعقدة" ويضيف "تبقى المسألة من دون حل ما دامت الاكتشافات الاثرية لم تقدم جديداً حول المسألة".

4-  كنت افضل ان يتحرى الباحث عن اسماء مؤلفي كتاب "العصور القديمة" (ص 176) (لجنة من اساتذة المدرسة البولسية) وليس البوليسية كما ورد.

5-  يشير د. مروان (ص 201) الى الحرب الاهلية التي اندلعت في وطننا بين العامين 1975 و 1990. انا اتحفظ على هذا المصطلح وافضّل مصطلح الحروب اللبنانية المركبة.

6-  يبرز الباحث "ان الوقت المخصص لمادة التاريخ (ساعة في الاسبوع) لا يكفي لاعطاء المعلومات كافة". وهذا المطلب يجب ان يكون اولوية عند رابطات الاساتذة وعنه كل حريص على بناء جيل محصّن بذاكرة تاريخية وطنية.

7-  لاحظت ان المؤلف استشهد بابحاث قليلة للمؤرخ Ernest Will، وكنت افضل ان يطلع على مجمل دراساته المجموعة في الكتاب الذي صدر عام 1995 وهو بعنوانDe l'Euphrate au Rhin aspects de l'hellénisation et de la Romanisation du Proche –Orient.وفيه الكثير مما يساعد على التعمق في تاريخنا القديم (فيه 12 فصلاً عن المناطق اللبنانية) وفيه ايضاً توضيح لتنظيم بعض المدن في المرحلة القديمة وهو جانب يجب (ايلاؤه) الاهتمام اللازم في الكتب المدرسية.

**خلاصة:**

ان تعليم التاريخ، في مجتمع متعدد الطوائف والعقائد كمجتمعنا اللبناني هو عملية جوهرية يكون من نتائجها تزايد التعاون والوحدة الوطنية، ايجاباً، او انفجار المجتمع وترسيخ تقاليد العنف واللاعقلانية سلباً. ويبقى المعلم هو اساس ومحور العملية التربوية وعلى هذا الاستاذ ان يحترم ما اعطته كل طائفة من طوائف لبنان لهذا الوطن وان يُشعر تلميذه ان تراث كل الطوائف هو تراثه هو. من هنا اهمية اعداد المعلم الناجح في اقسام التاريخ في جامعاتنا، وضرورة التدريس المستمر لمدرسي مادة التاريخ في دور المعلمين وفي كلية التربية.

ان الروحية التي عالج فيها الدكتور مروان ابي فاضل موضوعه يفرض علينا ان نشكره على كل الجهد الذي بذله، كما يجعلنا ان نأمل بإنزال الهزيمة بالفكر الداعشي على تنوع طبعاته وحتمية انتصار لبنان الدولة ومجتمع المعرفة القائم على العلم والديمقراطية  والانماء والحرية وحقوق الانسان.

 **ان لكتاب التاريخ الذي أعدته اللجنة المؤلفة  من : "** **رئيسة المركز التربوي للبحوث والانماء الدكتورة ليلى فياض، الدكتور علي بزي ممثلاً حركة أمل، الدكتور محمود حداد "مستقل"، علي الحلاق من المقاصد، الدكتورة سعاد أبو الروس سليم "مؤرخة ومستقلة"، الدكتور جورج شلهوب "قوات"، الدكتور طوني ضو "عوني"، الدكتور الياس قطار "مستقل"، الدكتور حسن جابر "حزب الله"، الدكتور انطوان حكيّم "كتائب"، الدكتور عصام خليفة "مؤرخ مستقل"، الدكتور عبد الرؤوف سنو "مؤرخ مستقل"، أنور ضو "الحزب الاشتراكي"، الدكتور وجيه كوثراني "مؤرخ مستقل"، وأمال وهيبه منتدباً من المركز التربوي " .**

**ان يبصر النور في الـ 2010 بعدما حظي بموافقة مجلس شورى الدولة وحوّل إلى مجلس الوزراء ، غير ان هذه الولادة القيصرية لهذا الكتاب الذي سيحمل بين صفحاته حقائق نعرفها ونتجنب الاعتراف بها لم تتم .**

**ليخضع الكتاب  في فترة حكومة الميقاتي لإعادة قراءة النص وليكون تحت مختبر التعديلات التي أدخلتها اللجنة الوزارية التي ترأسها الوزير نقولا فتوش، هذه التعديلات التي كانت تهدف أو لذكر شخصيات غيبها التاريخ أو لتجنب ذكر أحداث يخاف المعنيون من مواجهتها ، أو لنسف محطات تاريخية أساسية .**

**أما النص الأصلي الذ أعدته اللجنة و الذي كان سيعتمد قبل لعبة التعديلات فهو وبحسب "جريدة النهار" يتضمن عدة محطات أساسية هي :**

**"يقرأ المتعلم، على خط زمني، أهم الحوادث والمراحل التي ميزت تاريخ لبنان. والجزء من المنهج المتعلق بمرحلة الحرب في لبنان 1975- 1990، يعتبر الأهم في طريقة عرض ما حصل في لبنان في هذه المرحلة، وهي التي كانت تقسم اللبنانيين بين منطقتين. فيتضمن المنهج مسار الحرب في لبنان، العامل الفلسطيني المسلح ودوره في حرب لبنان، مصلحة العدو الاسرائيلي ودوره في تأجيج الحرب، انعكاس الحرب الباردة والصراعات العربية - العربية على لبنان، دخول الجيش السوري في العام 1976 ودوره في ادارة الأزمة، استشهاد كمال جنبلاط، اخفاء الامام موسى الصدر، الاجتياح الاسرائيلي الاول للبنان (1978) والقراران 425 و426، المواجهات ما بين الجبهة اللبنانية والقوات السورية وحوادث الاشرفية (1978) وزحلة (1980- 1981)، الاجتياح الاسرائيلي الثاني (1982) وخروج الوحدات السورية والمقاومة الفلسطينية من بيروت، انتخاب بشير الجميل رئيسا للجمهورية واستشهاده، مجازر صبرا وشاتيلا، رئاسة امين الجميل، حرب الجبل، انتفاضة 6 شباط، واسقاط مشروع اتفاق 17 أيار، خروج القوات المتعددة الجنسيات، الاتفاق الثلاثي واسقاطه، خطف الاجانب، عودة القوات السورية الى بيروت الغربية، سيطرة الميليشيات على مقدرات الدولة، استشهاد الرئيس رشيد كرامي، القوى الرافضة للحرب (النقابات والمجتمع المدني...)، نهاية ولاية امين الجميل وعهد الحكومتين (عون والحص)، حرب التحرير، التهجير والهجرة، اسعار صرف الليرة وانعكاساتها.ويعرض المنهج اتفاق الطائف ومسيرة الاستقرار والعمران، ملخصاً عن مقرراته ودور رفيق الحريري فيه، استشهاد الرئيس رينه معوض وانتخاب الياس الهراوي رئيسا للجمهورية والتمديد له، اتفاق الطائف وتطبيقه، تعديل الدستور، دخول الجيش السوري الى المناطق الشرقية، ازاحة حكومة الجنرال ميشال عون 1990، نزع سلاح الميليشيات باستثناء سلاح المقاومة والمنظمات الفلسطينية، الانتخابات النيابية، سياسة اعادة الاعمار، مصالحات الجبل، السينودس وأثره، مرسوم التجنيس، الانسحاب الاسرائيلي، قرنة شهوان وحركات المعارضة وقمعها، التمديد للرئيس لحود، قرار مجلس الامن 1559، ظروف اغتيال الحريري وثورة الأرز، استقالة حكومة عمر كرامي، الضغط الخارجي والداخلي وخروج الجيش السوري من لبنان، حكومة نجيب ميقاتي والانتخابات النيابية والبلدية، مجيء حكومة فؤاد السنيورة، تشكيل المحكمة الدولية، اتساع عمليات الاغتيال، انسحاب وزراء المعارضة من الحكومة والاعتصام في الوسط التجاري (2007- 2008)، معارك نهر البارد، حوادث السابع من أيار 2008: أسبابها وتداعياتها، اتفاق الدوحة، انتخاب الرئيس ميشال سليمان رئيسا للجمهورية، وتشكيل حكومة الوحدة الوطنية."**

**هذا النص الذي قد حظي بإجماع ، لم يكتمل ، فبالرغم من معرفتنا بالوقائع وبكل الظروف التي أحاطتها غير أن هناك صعوبة ومخافة من المواجهة مع تجاهل أن هذه المواجهة هي الحل وهي التسوية حتى نتعلم من أخطاء الماضي فلا نكررها .**

**وظل كتاب التاريخ عالقاً حتى تاريخ اليوم ، غير أن تطور بارز شهدناه على ساحة "التعديلات" وهو إعلان وزير التربية بو صعب في 7 نيسان عن حصوله على توافق سياسي بنسبة 95% حول الكتاب وبانه يعمل على الـ 5% ليصل لإجماع حوله .**

**هنا ، لا بد أن نضع عدة استفهامات وأهمها على أي أساس وعلى حساب أي تاريخ تم هذا التوافق ؟**

**فموقع لبنان الجديد أراد أن يجد أجوبة لتساؤلات العديد من الناس ألا وهي :**

**هل يحق إدخال تعديلات على كتاب التاريخ ؟ وهل من الجائز أن يكون الكتاب خاضعاً لضغوط سياسية تغير في مجرياته ؟ وهل يحق لنا ان نحذف محطات منه خوفاً من مواجهتها ؟**

**في هذا الصدد كان لموقعنا ان أجرى اتصالات مع أهل الإختصاص ، ففي اتصال مع الدكتور الكسندر أبي يونس وهو دكتور في التاريخ الحديث والمعاصر في الجامعة اللبنانية الفرع الأول .**

**ففي سؤاله عن جهوزية لبنان لكتاب تاريخ يتحدث عن كل الوقائع بشفافية وبصدق ؟**

**أجاب الدكتور الكسندر أنه يجب أن يكون هناك كتاب يذكر الوقائع كما هي كي يتجنبوها فيما بعد ، يجب أن نكتب الحقيقة حتى نتعلم من أخطاء الماضي .**

**وعن أفضلية البقاء على الكتاب القديم أم اعتماد كتاب جديد أدخل على نصه تعديلات قد يتم بها تجاوز بعض المحطات التاريخية والدقيقة في هذا الكتاب لكونها حساسة ؟**

**قال الدكتور لنكتب كتاب جديد به الحقائق كما هي أو لنبقي الكتب القديمة كما هي .**

**أما عن سؤاله من أين يفترض أن يبدأ هذا الكتاب عند أي مرحلة ؟**

**أجابنا ، منذ أيام الفينيقيين ، الرومان ، البيزنطيين ، الموارنة ، العرب ، الفتوحات العربية (هناك اشكال  هل هي فتوحات عربية او دخول عربي ) ، المناطق اللبنانية في القرون الوسطى ، عهد الامويين ، العباسيين ، المماليك ، فترة الصليبيين ، لبنان الحديث مع العهد العثماني ، نظام حكم الأمراء في جبل لبنان ( معنيين ، شهابيين) ، نظام القائمقامتين المتصرفية  ، ودولة لبنان الكبير (يجب الحديث هنا بالتفصيل) .**

**في العام 1943 كان هناك وجهتا نظر بين اميل اده (استقلال لبنان ولكن لبنان بحاجة لحماية دولية حتى يستقر) وبشارة خوري (الانفتاح على العرب والاستقلال عن فرنسا) والتي تمت هي فكرة بشارة خوري واستمر العهد ، سقط بشارة خوري في 1952 في الثورة البيضاء ، عهد كميل شمعون (مهم جداً) أيضاً أصبح هناك وجهتا نظر أدتا إلى ثورة 1958 ، على أثر هذه الثورة عهد فؤاد شهاب (قائد جيش ومؤسساتي أفضل عهد يجب التركيز عليه هو الذي أسس المؤسسات التي ما زال لبنان قائم عليها هو الذي فهم اللعبة اللبنانية وتكوين المجتمع اللبناني ) ، من بعده دخل لبنان في محاور كان بغنى عنها وظهر رأيان في البلد رأي قال علينا بالحياد ورأي قال نحن بصلب الحدث ويجب أن نكون بالأزمة (علينا أن نعرض وجهتا النظر ونترك للطالب أن يقرر ويحلل ويعلم أين مصلحة لبنان ) .**

**الحرب الأهلية 1975 يجب أن نتحدث عنها بكل تفاصيلها ، (فرنسا وألمانيا وهم أعداء توصلوا لأتفاق بعدما ذكروا الحقائق كما هي ) .**

**يجب التحدث عن الجيش فهو المؤسسة الوحيدة التي توحدت بعد الحرب الأهلية سريعاً وهي التي بفضلها ما زال لبنان ثابتاً حتى الآن ، وهي المؤسسة الأولى التي ما زالت تتبع القانون وتطبقه .**

**يجب أن يخصص درس كامل عن دور هذا الجيش ليس العسكري بل الإنمائي أيضاً ، فعدا الحرب والانقسام في حينها ، فهو الجيش الوحيد الذي لم ينقلب على السلطة السياسية .**

**وعن ضرورة ذكر الأوطان العربية وتاريخها في منهجنا  كما في الكتاب القديم ؟**

**قال نذكره لنذكر الفروقات فلبنان هو البلد الوحيد الذي حارب العدو الاسرائيلي وتحمل النزوح الفلسطيني واليوم يتحمل السوري بينما هناك دول قامت بمضي اتفاقات سلام مع اسرائيل وأصبح هناك علاقات دبلوماسية بينهم وبينها .**

**كذلك من ناحية الجيوش ، فالجيش اللبناني لم يحارب ولا دولة عربية ولم يقم بإنقلاب وهو الوحيد الذي انتصر بمعركة الملكية ضد العدو الاسرائيلي بينما حينما سلم الملكية لجيش العرب والإنقاذ هزموا .**

**بالإضافة أن للجيش اللبناني مسؤوليات إنمائية تنموية اجتماعية ، فهو يلعب دور هام في الداخل هو الحكم بين الأطراف .**

**لا بد من إصدار كتاب تاريخ جديد يتحدث عن كل مكونات المجتمع اللبناني ومن أين أتت ، فالطوائف اللبنانية هم جماعات هربوا من جماعاتهن الكبرى والتقوا في لبنان وعليهم أن يحكموا هذا البلد وأن يتعلموا من الحروب الماضية لأن لا أحد ينتصر إلا الوطن .**

**أما عن سؤاله أين يجب أن يتوقف هذا الكتاب عند أي مرحلة ؟**

**قال الدكتور الكسندر أن المكان الأنسب ليتوقف بها الكتاب هو بعد استشهاد الرئيس رفيق الحريري في العام 2005 وانسحاب الجيش السوري .**

**وحينما سألناه عن الفترة الزمنية التي يجب أن تعتمد لإعادة إصدار كتاب تاريخ وذكر الأحداث الجديدة ؟**

**أجاب مع كل جيل (25 سنة) ، يتجدد ويضاف إليه .**

**وقال هناك وثائق هناك دول تكشفها بعد 50 عاماً ودول أخرى بعد 80 عاماً ، أما برأيه الخاص فكل 25 عاماً مع كل جيل يجب أن يتغير ويضاف عليها الأحداث .**

**وأضاف آن الأوان كي يعتمد كتاب تاريخ للبنان موحد كل المدارس تدرس به ، حيث إذا بقيت كل طائفة وكل منطقة تدرس شيء مختلف كارثة لأننا حينها لن نلتقي على أواصر مشتركة لوطننا .**

**وفي اتصال آخر لموقع لبنان الجديد مع الدكتور عبد الله الملاّح وهو دكتور في تاريخ لبنان الحديث والمعاصر في الجامعة اللبنانية الفرع الثاني .**

**ففي سؤاله عن كتاب التاريخ الذي قد يعمد إلى تجميل بعض الوقائع لحساسية ذكرها ، وهل يحق لهم اللعب على التفاصيل ؟**

**أجاب الدكتور عبد الله ، لا أحد يحق له اللعب على التفاصيل أو تغيير الحقيقة ولكن يمكن أن يتم الإكتفاء بذكر الوقائع بطريقة لا تمس بأحد ولكن ليس على حساب الحقيقة .**

**وعن المرحلة التي يجب أن يبدأ منها هذا الكتاب ؟**

**يجب على الطالب أن يعلم تاريخه بلاده (الماضي) بإختصار وعرضه بمحطات والاتجاه للوقائع الحديثة والمعاصرة .**

**يجب أن يكون هناك عدالة في توزيع المعلومات فالتاريخ هو ماضي وحاضر ومستقبل .**

**وعن المرحلة التي يجب أن يتوقف الكتاب ؟**

**قال هناك فترة زمنية لا تكشف فيها الوثائق الدقيقة ، يجب مراعاة هذا العامل إذ أنه لا نستطيع عرض تاريخ البلاد استناداً للصحف .**

**هناك عرف دولي عالمي وهو أنه يجب أن يكون هناك 50 عاماً قد مرت على الحدث حتى تكشف وثائقه .**

**إذا ، وبعد الاتصالات التي قمنا بها ، والبحث الذي اعتمدنا ، نرى أن كتاب التاريخ ليس بمعضلة ، ولكن خوف أهل السياسة من مرآة حقيقتهم هو لب القضية وهو الذي يمنع إصداره ، فالأحداث ما زالت في الذاكرة والجرح ما زال ينزف ، والحل هو مواجهته حتى يكون لنا عبرة .**

**بإختصار ، أعطونا كتاب تاريخ ولا تشوهوا التاريخ ، فيا أهل السياسة في وطني واجهوا خطاياكم ولو مرة عسى أن تكون لكم مغفرة في هذا الكتاب .**

**ندوة تاريخ لبنان القديم     ادارة د. انطوان ضومط**

منذ ان عاش الانسان في جماعة بدأ يعبر عن ذاته بوسائل بدائية عديدة غلب عليها الذاتي على الموضوعي، ومع ذلك شكلت تأريخا، افاد منها المؤرخون وعلماء الاثار والانتروبولوجيا في اكتشاف بعض العادات الاجتماعية ونواح من علاقة الشعوب بعضها بالبعض الآخر على مستويات متعددة. ثم تطورت وسائل التعبير ما سمح لدارسيها فهما اعمق لتاريخ مضى. وفي العصور الوسطى في المشرق العربي اعتمدت انماط متعددة عبّر بها الراوي فالمؤرخ عن نظرته الى الماضي، ونشأ عن ذلك مدرستان: الرأي في العراق والحديث في المدينة، واستمر الذاتي واضحا في ما تركه الاخباريون.

لن اغوص في هذا المعترك الشاق، انما جل ما اريد الاشارة اليه في هذا الشأن انه رغم تأثر المؤرخ ببيئة الفكرية والمذهبية، تطور التأريخ تدريجا نحو التجرد النسبي الى ان بلغ شأوى عاليا جدا بالمنهج الذي وضعه ابن خلدون الذي عجز عن تطبيقه كاملا، فاسحا في المجال امام تلميذه المقريزي ليطبقه بنسبة عالية في مؤلفاته. ومع ذلك لم يستطع مؤرخو العصور الوسطى، على رغم الجهود التي بذلوها، الانفلات تماما من تأثير عاملي الدين والمذهب فضلا عن الاقليمية، فظل الذاتي يتسرب الى اخبارهم من دون ان يطغى عليها تماما.

وفي العصور الحديثة طرحت اشكالية مهمة جدا تمثلت بالسؤال التالي: هل التاريخ علم ام فن؟ ما ادى  الى نشوء عدد من مدارس التأريخ طوّرت المناهج وبلورتها، وتقاطعت جميعها، على الرغم من الاختلافات في الوسائل، حول التحري الجدّي عن حقيقة الماضي، التي هي في اساس مطلقة، وقد لا يعرفها كليا من شارك في صنعها اوشاهد الحادثة بام العين. وبالتالي يظل الوصول اليها كاملة ابدا نسبيا، ومرهونا بتوفر المصادر واخضاعها للنقد الموضوعي. لأن الوثيقة او النص معين زاخر بالمعلومات بمقدار ما تطرح عليه اسئلة ذكية يجيبك. ما يعني العمل الجدي لاعادة صوغ الماضي كما حدث.لان التأريخ عملية مجهدة ومضنية، وتطلب الكثير من الجرأة والجهد والحياد. ويسعى المؤرخ الرصين للحصول على اكبر قدر ممكن من المصادر على اختلاف انواعها، ويتبحر بالاخبار والروايات، من اجل غربلتها ومقارنته بعضها بالبعض الآخر، ومن ثم يعيد تركيبها للاقتراب قدر المستطاع من صوغ الماضي كما حصل، لا كما يشتهي هو حصوله. لأن من يكتب التاريخ بمواقف مسبقة ليس مؤرخا انما مؤدلج يخدم فقط تطلعاته ورؤى الخط الذي ينتمي اليه.

ونحن قي لبنان ننتمي الى طوائف ومذاهب وعائلات وعشائر ... ونخضع لمؤثرات محيطنا الاجتماعي والذهني والعاطفي والسياسي والاقليمي، ما يشوش رؤية بعض المؤرخين الى الماضي. فيتم اعادة تركيبه  كما يشتهي بعضهم لا كما يفترض ان يكون. فتُسقط مصادر عمدا، وتُجتزأ بعض الروايات، وتُهمل روايات أخرى، ويُسّلط الضوء على نواح، ويمر على بعضها الاخر هامشيا، فتضيع الحقيقة، ويصبح التارخ مشوشا. ما يعيدنا الى بعض مفاهيم مناهج العصور الوسطى. وقد يكون بعض مؤرخي تلك العصور أكثر موضوعية لأنهم لم يؤرخوا من منطلق ايديولوجي. ويحضرني سؤال مركزي: كم من الذين ألفوا كتبا مدرسية يتقن لغات قديمة، على الاقل لغة واحدة؟! باعتقادي انهم اعتمدوا على مراجع محددة. ومن البديهي القول: ان المراجع ليست كلها موثوقة، فبعضها قد يقع في خطأ اعادة التركيب من غير قصد، والبعض الآخر عن دراية. وبالتالي من يعتمد في التأليف، ولا اقول التأريخ، على المراجع فقط سيقع في الخطأ مرغما.

على هذا، لا يعتبر كتاب الدكتور مروان ابي فاضل "تاريخ لبنان القديم..." الزاخر بالاسس المنهجية الآنفة الذكر تأريخا بقدر ما هو نقد لنظرة المؤرخين الذين تناولوا تاريخ لبنان والمشرق العربي في مرحلة التاريخ القديم. فهو، في هذا المجال، عملية تقويمية للكتب المدرسية التي تناولها. فكل واحد من مؤلفيها قدم رؤيته لهذا "اللبنان" فجاء عند بعضهم مستقلا منذ ان نشأ، وعند البعض الآخر مستقلا نسبيا، ورأه فريق ثالث فنيقيا فقط. والفينيقيون عند فريق ساميون جاءوا من الخليج العربي، ويرد فريق آخر اصلهم الى الفرس او غيرهم. ونظر مسيحيون مستشرقون الى لبنان على انه وطن للمسيحيين فقط، ورسموا له حدودا تتوافق مع نظرتهم. وهو عند بعض المسيحيين اللبنانيين مستقل منذ فجر التاريخ، وقد اسسه اجدادهم. وتواضع فريق منهم وسمح للمسلمين ان يكونوا شركاء فيه. ومرّ مؤرخون مسلمون على لبنان والفينقيين مرورا هامشيا، فلم يعدُ لبنان بنظرهم سوى جزء من عالم سامي واسع، ولا وجود له خارج انتمائه الجغرافي والاتني العربيين على الاقل.

ان محاولة الدكتور ابي فاضل النقدية مهمة جدا كشفت بدقة ايديولوجية من كتب تاريخ لبنان القديم، من دون ان يتخذ موقفا مسبقا من المؤرخين، انما اضاء على الثغر في مؤلفاتهم، واشاد بمن اجاد مبرزا حيادهم. وهذا منهج مهم لتعرية اصحاب المواقف المسبقة من التاريخ. وبالتالي أتساءل مع مؤرخين آخرين: ما الافادة من كتابة تاريخ موحد في مراحل التعليم المدرسية؟ ألن تكون كتابة تاريخ توافقي؟! وبالتالي من سيتنازل لمن، وفي اية مواضيع، ولصالح من، أهي للسياسيين ام للانتماء الطائفي او المذهبي؟! نها بدعة جديدة تحمل في طياتها ادلجة التاريخ، واللعب على الحقيقة الماضوية.

 ان هذا التخبط بكتابة تاريخ لبنان في مراحله كلها القديم والوسيط والحديث والمعاصر، لن تصير تأريخا ما دامت الطائفية تذر قرنها وتتلاعب بمواقف المؤرخين، وما دام من يدعون التأريخ يخضعون للسياسيين، او على الاقل يحابونهم. ومع ذلك نجد قلة من المؤرخين نبذو تلك المواقف، ولا ينقادون لاحد وجهدوا في سبيل تبيان الحقيقة الماضوية، ويكدون دوما وقدر المستطاع لاعادة رسم الماضي كما حصل. وانني آمل ان يزداد نضالهمهم وينهج  كثيرون نهجهم. ولا أغالي ان قلت ان من بينهم من سينتدي معنا في هذه اللقاء الفكري في هذا المساء.

مناقشة كتاب مروان أبي فاضل[\*](http://www.mcaleb.org/ar/al-nadawat-wa-aliqaat/444-marwanabifadel.html%22%20%5Cl%20%22_ftn1%22%20%5Co%20%22)

**تاريخ لبنان القديم في الكتب المدرسيّة اللبنانيّة**

(من القرن التاسع عشر حتّى اليوم)

**الدكتور أنطوان القسيس**

أُستاذ التاريخ القديم في الجامعة اللبنانيّة

تفتحّت عيناه، وفي فمه كتاب!

نَذرَه والدُه للكلمة، فصار وزنُه ذهبًا!

كبُر والكتابُ يكبُرُ معه وفيه حتّى أصبح توأمَ حياتِه.

له من الحياة عشقان: عِشق **نجلاه** التي بنى معها عائلة لبنانيّة على أصالةٍ أخلاقيّة مُتجذرة فيهما من البيت الوالدي؛ وعِشق كتاب نَما فيه من الصغر وأصبح ناسكًا له على كِبر!

تعرَّفتُ إليه، في كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة ــ الفرع الثاني في الجامعة اللبنانيّة، في سنوات الإجازة، فتوسمت فيه خيرًا واعتبرته، يومذاك، مشروعَ باحث له من غده ما سَيؤكدُه.

عرَفته أكثر بعد تحضيره وبإشرافي، أولًا في الجامعة اللبنانيّة، رسالة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، بعنوان: **تاريخ لبنان القديم من خلال مؤلفات المطران يوسف الدبس**؛ وثانيًّا في جامعة الروح القدس ــ الكسليك، أُطروحة الدكتوراه بعنوان: **الحضارة الكنعانيّة ــ الفينيقيّة من خلال المصادر العربيّة (القرن التاسع ــ القرن السادس عشر)**، العام 2007، فتأكدتْ لي صِحةُ ما توسمت فيه.

بدأ، بعد الدكتوراه، حياته البحثيّة وله فيها حتّى اليوم خمسةُ أبحاثٍ علميّةٍ منشورة وغيرُها على انتظار، وأربعةُ كتبٍ: ثلاثةٌ منها مدرسيّة، وآخرها ما نجتمع اليوم للإحتفال بولادته.

قرأت الكتاب...!

فأعادني إلى أمسٍ كُنت فيه حكواتيُّا أروي على ناشئةٍ قصصًا فيها من المعرفة التاريخيّة الاسم فقط. وكانت أشبه بقصصِ جديّ عن بطولات بني هلال وعنترة ومَنْ زاملهما في مُخيلة الجدّ.

دفعني هذا الكتاب إلى مراجعة الماضي!

جعلني أندم على مرحلة من العمر، وأنا لم أندم على كلّ ما فعلته في حياتي العمليّة، وهي مرحلة التعليم المدرسي وكُنت في بداية الطريق. مرحلةٌ أعدمتُ فيها الوقت، حرقتُه، وذريتُ رمادَه في أعين أجيالٍ من اللبنانيّين كانوا يطلبون مني معرفة تاريخيّة صحيحة فأوصلت لهم سُمومًا ثقافيّة حملتها إليهم من المنهج الرسمي ومن الكُتب التي وُضعت على أساسه.

أدركتُ يومئذٍ مأساةَ التعليم والتربيّة في لبنان، ولم أتعجب بعدها أو أتساءل عن اسباب الصراعات التي حلت وتعيش دائمًا معنا كجزء أساس من **المسألة اللبنانيّة**. وأعتقد، عن حقٍّ، أن التاريخ اللبناني في مفاهيمه التربويّة والمعرفيّة المتّبِعة في لبنان، يُشكل السبب الرئيس لهذه المسألة. إذ أن الذاكرة التاريخيّة لم تُشكل، يومًا، عند اللبنانيّين وحدة مُجتمعيّة، لا بل نظروا إليها من منظار انتمائهم الطائفي والمذهبي والجغرافي والإيديولوجي. فالمفهوم الوطني وبناء الدولة وجهةُ نظرٍ لدى اللبنانيّين. كلٌّ يُغنّي على ليلاه ويُبشر بإيديولوجيته على أنها المعرفةُ التاريخيّةُ الوحيدةُ المُنزَلة والمُنزَّلة من العالم الإلهي. أما الاعتراض أو النقد أو المُطالبة بقراءة هادئة علميّة للمنهج التربوي لوضع مفهوم سليم لهذا التاريخ، فعاقبته الرجم والرشق بالحِرم الدينيّ والفصل من قافلة المتنورين أصلًا بالديماغوجيّة وادعاء الإصلاح.

تركت التعليم المدرسي، وتوجهت نحو التعليم الجامعي علّني أجد ضالتي في المناهج الجامعيّة التي عملت مع زملاء لتطويرها ومطابقتها مع البرامج الأوروبيّة. وهنا كانت مأساةٌ قديمة جديدة كانت، ولمّا تزل، حول المفاهيم التاريخيّة وكيفية بناء المواطن تربويًّا وثقافيًّا. وتبيّن لي أن الأزمة الكبرى تكمن في غياب فلسفة تربويّة وطنيّة سليمة. فوقعنا في المحظور، والممنوع، والمرغوب، وكلها لا علاقة لها بالمفاهيم التاريخيّة العلميّة. فانسحبت على صدام مع نفسي أولًا، وتاليًّا مع الأصدقاء والزملاء.

غاب الآمل وبقية الأزمة/المسألة الكبرى تعيش وتتغذى على حساب الوطن، ونأملّ أن يأتي يومٌ نُدرك فيه الكارثة التي نُغذيها على الدوام.

كان لا بدّ من وضع الإصبع على الجرح، ولو ولّد ألمًا كبيرًا عند الغيارى على أدلجة الذاكرة اللبنانيّة.

مروان أبي فاضل ارتكب المَعصيّة اللبنانيّة الكُبرى، ويستأهل الرجمَ والحِرمَ الإلهي. تجرأ، فكتب في المحظور، وارتكب الخطيئة اللبنانيّة الأصليّة عندما بيّن، عن حقّ، انحراف البرامج التربويّة ومضمون الكُتب التاريخيّة المدرسيّة، منذ القرن التاسع عشر حتّى اليوم، عن المعرفة التاريخيّة السليمة.

كان تركيزه على التاريخ القديم، فيا ليته توسع في حقبات هذا التاريخ اللبنانيّ كافة، لتَبين له أن ما ينسحب على التاريخ القديم في لبنان ينسحب أيضًا على الحقبات التاريخيّة كافّة. ولكان أدرك عُمق المشكلة اللبنانيّة في ما خطّطه لها عقلٌ لبنانيٌّ تجمّعت فيه كلّ المتناقضات اللبنانيّة البعيدة عن بناء المواطنة الصحيحة.

حسنًا فعل مروان أبي فاضل في مقاربته لموضوع الكتاب الذي جاء على وضوح في الأسلوب بالرغم من بعض الشوائب اللغويّة التي لا تقلل من قيمة الكتاب العلميّة. لكن نأخذ عليه إغفاله كتاب لبيب عبد الساتر، **الحضارات**، دار المشرق، بيروت، الطبعة 17، 2008، وكان وُضع في التداول منذ السبعينيات من القرن الماضي. إنه نموذج علميّ وحيد ويتيم بين كلّ الكتب المدرسيّة، وتمّيز بمنهجيّة جديدة ومقاربة تربويّة متطورة كانت صعبة على أساتذة التعليم المدرسي كونهم غير متخصصين في التاريخ القديم ولا يُدركون مسائله وكيفيّة مقاربته. لذا انحصر اعتماد هذا الكتاب على عدد قليل من المدارس. لذ فالمقارنة بينه وبين مُجمل الكتب المدرسيّة تُبيّن أن لبيب عبد الساتر كان يُغرد خارج المألوف المُعتمد عند البقيّة.

وتزداد المسألة تعقيدًا وعمقًا مع الكُتب الطائفيّة التي أفرزتها فترة الحروب اللبنانيّة وما بعدها. إذ عمدت بعض المجموعات الطائفيّة والحزبيّة إلى وضع كُتبِ تاريخٍ لمدارسها أو لمناطقها وجرى فرضها عمدًا على ناشئة أُريد لها أن تتموضع ثقافيًّا وإيديولوجيّا في بيئاتها المُنغلقة على ذاتها.

فتربت أجيالٌ من اللبنانيّين على الجهل العلمي وعلى نبذ الآخر وعلى التفوق البنيوي في الانتماء على شاكلة تمجيد الحضارات والعِرقيات في أوروبا في القرن التاسع عشر. وهي مقولات متطرفة أصوليّة المنحى، ولّدت عدة حروب كُبرى وحصدت الملايّين من القتلى الأبرياء في عالمنا المُعاصر.

وهنا نأخذ على مروان أبي فاضل عدم تمكنه من الاستفاضة في دراسة الكُتب التاريخيّة ذات الطابع السنيّ أو الدرزي أو المسيحي أو الشيعي لاحقًا، وإن أشار إلى بعضها عرضًا في سياق بحثه (ص. 201 ــ 202)، وربما كان السببُ في ذلك عدم تمكنه من الحصول عليها، لبانت له فوضى فكريّة ثقافيّة تربويّة مُؤدلجة تزرع ريح الفوضى في العقول لتحصد بعدها العاصفة التي لن تُبقي على أحد!

أما بعد!

إنها خطوة الألف ميل على طريق البحث العلمي. فلا تتوقف، يا صديقي، عند ملاحظات أو اعتراضات حول مضمون الكتاب، وحول ما ستكتب. لأن فيها التحامل والتجني أكثرَ من النقد البنّاء.

فلو قرأنا كلَّ ما كُتب في لبنان، باللغة العربيّة، حول تاريخ الكنعانيّين/الفينيقيّين، منذ القرن الخامس عشر حتّى اليوم، ولنا دراسة مفصلة حولها نشرناها بالفرنسيّة العام 2008 في باريس، لتبيّن لنا هذا التناقض المعرفي حول هذه الفترة الطويلة من تاريخ لبنان القديم، ولأدركنا العشوائيّة والمحسوبيّة وضعف الذاكرة الثقافيّة في كيفيّة وضعِ المناهجِ التاريخيّة وكتبِها منذ عهد المتصرفيّة إلى لبنان الاستقلال.

فيا مروان، أكمِل ما بدأتْ بالتزام علمي حكيم.

"**قُل كلمتَك وامشِ**"، فالتاريخُ، وحدُه، يُنصفُ ما كتبتْ، وما ستكتب!

بورك المولود الجديد في عائلتك الكبيرة!

والآملُ معك بلقاءٍ قريب!

**[\*](http://www.mcaleb.org/ar/al-nadawat-wa-aliqaat/444-marwanabifadel.html%22%20%5Cl%20%22_ftnref1%22%20%5Co%20%22)ــ**كلمة أُلقيت الخميس 16 نيسان 2015، في الحركة الثقافيّة ــ إنطلياس، لمناقشة كتاب مروان أبي فاضل، **تاريخ لبنان القديم في الكتب المدرسيّة اللبنانيّة (من القرن التاسع عسر حتّى اليوم)**، بيروت، 2014.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**تاريخ لبنان القديم في الكتب المدرسية اللبنانية**

**(منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى اليوم)**

**الدكتور مروان أبي فاضل**

شهد القرن التاسع عشر في لبنان نموا في عدد المدارس، اهتمت مع الوقت بتعليم مادة التاريخ، اعتمدت بعضها كتبا باللغة العربية، وغيرها اعتمدت كتبا أجنبية فرنسية أو انكليزية. يمكن أن نميّز بشكل عام بين ثلاثة تيارات أساسية أثّرت على كتابة التاريخ القديم في تلك الفترة. التيار الفرنسي اليسوعي نرى مؤثراته في كتاب الأب "مرتين اليسوعي" مؤلِّف تاريخ لبنان، وهو سعى إلى التركيز على تمايز لبنان عن محيطه، وعلى استقلاله منذ أقدم العصور.

التيار الأميركي البروتستانتي نشأ في رحاب الجامعة الأميركية في بيروت، ومن أبرز ممثليه "فان نس مَيرز" مؤلف كتاب التاريخ العام، و"جايمس براستد" مؤلِّف كتاب العصور القديم. كتب المؤرخان تاريخ الشرق القديم ومن ضمنه تاريخ فينيقيا، من دون أن يخصّا لبنان بإشارة مستقلة، فلم يربطا بين تاريخه وتاريخ الفينيقيين.

أما التيار الثالث فعبّر عنه مؤلفون لبنانيون، تأثروا بانتماءاتهم الطائفية والفكرية، وتركوا كتبا تاريخية اعتمدت عليها بعض المدارس لتعليم طلابها، أبرز هذه الكتب: "تاريخ لبنان" لمؤلفه لحد خاطر الذي أبرز فيه تاريخ لبنان المستقل عن محيطه؛ ونيل الإرب في تاريخ العرب لمؤلفه أديب لحود الذي درس فيه تاريخ العرب قبل الإسلام واكتفى بإشارة بسيطة إلى تاريخ لبنان القديم؛ وفي سبيل لبنان لمؤلفه يوسف السودا، والكتاب الأخير حمل دعوة سياسية واضحة، تدعو إلى استقلال لبنان، وتحثّ الجيل اللبناني الشاب على تعلّم التاريخ ليحقق استقلال بلده وليحافظ عليه.

بعد الحرب العالمية الاولى، وضعت سلطات الانتداب الفرنسي مناهج التعليم الابتدائية والتكميلية (1924) والثانوية (1929)، ومنها برامج التاريخ. كانت المناهج موحدة للبنان وسوريا، وضعت المناهج خطوطا عريضة، ولم تدخل في التفاصيل، فاستفاد بعض المؤرخين من هذا الواقع، ووضعوا كتبا سعوا من خلالها إلى إبراز تاريخ لبنان المستقل. وبرز التناقض بشكل خاص بين تيارين:

-         الأول: برز خصوصا في كتاب"تاريخ لبنان الموجز" لفؤاد افرام البستاني وأسد رستم، يعكس وجهة نظر لبنانية سعت إلى إبراز تاريخ لبنان المستقل عن محيطه منذ أقدم العصور.

-         الثاني: برز في كتاب "تاريخ سورية ولبنان المصوّر" لزكي نقاش وعمر فروخ، وهو يعكس وجهة نظر قومية سورية تنظر إلى لبنان كجزء من وطن أوسع.

تأثرت بعض الكتب بالتيار الأول، وتأثرت بعضها الآخر بالتيار الثاني، فيما التزمت معظمها بالمنهج الرسمي.

بعد استقلال لبنان (1943)، عمل اللبنانيون على توحيد نظرتهم إلى تاريخ بلادهم، وتمّ فيالعام 1946 وضع برامج تعليم جديدة للبنان المستقل، وأدخلت مادة التاريخ في الامتحانات الرسمية لشهادة البريفة والسرتفيكا، وأصبح تعليمها باللغة العربية، وتقاربت مضامين الكتب المدرسية من بعضها البعض، لكن الأساليب التربوية كانت متفاوتة. وفي العام 1968 تمّ تجديد المناهج، وتطورت الكتب من حيث الشكل ولكن المضمون لم يشهد تطورا علميا واضحا. أما في العام 1997 فوضعت مناهج جديدة للتعليم في لبنان، وتمّ استثناء مادة التاريخ، وكانت الحكومات اللبنانية المتعاقبة قد ألّفت عدة لجان لتجديد المناهج**[[1]](http://www.mcaleb.org/ar/al-nadawat-wa-aliqaat/444-marwanabifadel.html%22%20%5Cl%20%22_ftn1)**، ولكن محاولاتها باءت جميعها بالفشل.

تناولنا في كتابنا التحولات التي رافقت تطور تعليم تاريخ لبنان القديم، حلّلنا نظرة الكتب المدرسية ومدى مواكبتها الاكتشافات الأركيولوجية والدراسات المعاصرة، ومدى ارتباطها بالمناهج، وكيفية تأثرها بالحركة الفكرية والثقافية والسياسية التي كانت سائدة في حينها.

أما الدافع الأساسي لتأليف هذا الكتاب فينطلق من الرغبة في تطوير الكتاب المدرسي اللبناني ليواكب التطورات العلمية والأركيولوجية، عبر الاطلاع على الكتب السابقة، وتحديد مكامن ضعفها وقوتها، لعلنا ننجح في تأليف كتاب علمي وتربوي حديث على غرار الكتب المعتمدة في الدول المتقدمة. وهدفنا إخراج الدراسات الجامعية من حلقات علمية ضيقة يهتم لها بعض الأساتذة، إلى دائرة أوسع يستفيد منها أساتذة المدارس وطلابها. إن هذا الربط بين المدرسة والجامعة ضروري لتطوير مستديم للمناهج، ولتحسين أداء الأساتذة، ولتصبح مادة التاريخ قادرة على نقل أخبار من الماضي وفق أساليب حديثة، تنّمي قدرات الطلاب وتتيح لهم إمكانية النقد والتحليل.

توزع الكتاب على أربعة فصول وخاتمة وملاحق:

**ـ الفصل الأول**: تعليم التاريخ القديم في لبنان قبل الانتداب.

**ـ الفصل الثاني**: تعليم التاريخ القديم في لبنان خلال عهد الانتداب.

**ـ الفصل الثالث**: تعليم التاريخ القديم في لبنان بحسب مناهج 1946.

**ـ الفصل الرابع**: تعليم التاريخ القديم في لبنان بحسب المناهج الحالية/اقتراحات جديدة من حيث المنهجية والمضمون والوسائل التربوية.

الخاتمة، أستعرضنا فيها الاستنتاجات التي توصلنا إليها، والآفاق العلمية التي تنفتح أمامنا، في المجالات الأكاديمية والتربوية. وأرفقناها بمستندات متنوعة، منها جداول توضّح كيفية تطور ساعات التاريخ في المدارس اللبنانية، وخرائط مساعدة على فهم أوضح لتاريخ لبنان القديم.

تؤكد دراسة نظرة الكتب المدرسية اللبنانية إلى تاريخ لبنان القديم على ضرورة وضع مناهج جديدة بمضمون جديد ومنهجية تربوية حديثة. إلا أن التأليف المدرسي له خصوصيته، فهو يهدف إلى نقل المعلومات التاريخية بطريقة تربوية سهلة وشيقة لا تغرق الطلاب بمتاهات النظريات والأساليب التلقينية.

إن نجاح المنهج الجديد، إذا أبصر النور، يبقى مرتبطا بتأليف كتاب مدرسي حديث، ولا نؤيد فكرة حصر التأليف بجهة واحدة، بل نرى أن إعطاء حرية التأليف إلى دور نشر عديدة، يؤدي إلى مزيد من التنافس فيما بينها، وبالتالي تحسين نوعية الكتب، ويدفع الدور إلى التعامل مع أفضل المؤرخين، مع ضرورة تشديد وزارة التربية الرقابة على كل كتاب، لتكتمل فيه الشروط العلمية والتربوية والوطنية.

ويبقى الأمل أخيرا بوزارة التربية، التي تقع عليها كامل المسؤولية لوضع المنهج الجديد، عبر الاستعانة بأفضل المؤرخين اللبنانيين، ليضعوا الخطوط الأساسية لمنهج عصري، لعله يسهم في تغيير نظرة الطلاب والمجتمع لمادة التاريخ، كمادة علمية تحمل هدفا شريفا يتمثل بتعريف المواطنين على أخبار أجدادهم وآبائهم، وحثّهم على الاطلاع والمعرفة، والتواصل مع محيطهم والانخراط في العالم المعاصر.

**الدكتور مروان أبي فاضل**

**أستاذ التاريخ القديم في كلية الآداب والعلوم الانسانية، الفرع الثاني.**

[**[1]**](http://www.mcaleb.org/ar/al-nadawat-wa-aliqaat/444-marwanabifadel.html#_ftnref1)**ـ**نصّ اتفاق الطائف على وضع منهج موحّد للتاريخ وكتاب أوحد لجميع اللبنانيين، وتشكلت بين العام 1997 و2011 عدة لجان لتحقيق هذا الهدف، إلا أن ظروفا عدة حالت دون الوصول إلى تحقيق الهدف المنشود. منها ظروف ترتبط بإشكالات سياسية بين اللبنانيين انعكست على قراءة التاريخ. ونعتقد بضرورة تجاوز هذه الظروف، ونؤمن أن هناك مخارج علمية لكل المشاكل المطروحة.

[**ندوة حول كتاب تاريخ لبنان القديم في الكتب المدرسية اللبنانية من القرن التاسع عشر إلى اليوم للأستاذ مروان أبي فاضل**](http://www.mcaleb.org/ar/al-nadawat-wa-aliqaat/444-marwanabifadel.html)

الخميس, 16 نيسان/أبريل 2015 18:30 |  |  | الزيارات: 3458

**مداخلة د. عصام خليفة حول كتاب د. مروان أبي فاضل**

**"تاريخ لبنان القديم في الكتب المدرسية اللبنانية من القرن التاسع عشر حتى اليوم"**



        عرفته على مقاعد الدراسة في كلية الآداب (الفرع2) طالباً نشيطاً في قسم التاريخ. يحسن القراءة، بقوم باعداد الابحاث، يواظب على الحضور، يناقش بذكاء العارف، يتصف بالتهذيب والخفر في مرحلة انفلات العصبيات والغرائز.

        في مرحلة التخرج كان من البارزين. ورغم دخوله مهنة التعليم، تابع مسيرة الدرس والتقميش مركّزاً على مرحلة التاريخ القديم. ولا شك ان رعاية الوالد الفاضل الدكتور وهيب ابي فاضل رحمه الله، ومكتبته الغنية بالمراجع والمصادر، كانت خير معين له في تقدم مسيرته. في السنوات الاخيرة من مزاولتي التدريس في الكلية تزاملت مع الدكتور مروان ابي فاضل مع رفاق له من الاساتذة الشباب. وقد لاحظت عندهم الجدية والاندفاع ومحبة البحث والعطاء والتفتيش عن المصادر والمراجع الجديدة من اجل الاستمرار في حمل راية تجديد الكتابة التاريخية في الجامعة والمجتمع. وقد تيقنت ان مروان ورفاقه من الاساتذة الشباب قد عقدوا العزم على اصدار الابحاث الجديدة والابتعاد عن مفهوم الاستاذ الناقل للمعرفة فقط، وانما لاحظت انهم مع الاستاذ المجدد للمعرفة التاريخية ايضاً. وعندما احلت الى التقاعد كنت مطمئناً ان في قسم التاريخ – في كلية الآداب (الفرع الثاني)، زملاء اكفياء لهم كل الخصائص المهنية التي تمكنهم من حمل مشعل الاستمرار في تقدم الصفوف الأولى في تجديد الابحاث التاريخية في مجتمعنا. وعلى كل حال اصبحت اميل، في هذه الايام، الى رفع شعار: الاستاذ الجامعي الذي لا ينشر الابحاث الاكاديمية باستمرار، هو استاذ لا يجب ان يستمر في الجامعة. وبالمقابل على الجامعة ان تؤمّن لهذا الاستاذ كل الظروف المادية والمعنوية للبحث.

        ايها السيدات والسادة

        نجتمع هذه العشية امام كتاب جديد للدكتور مروان ابي فاضل، عدد صفحاته 302. ويتألف من مقدمة، وفصل اول يدور حول تعليم التاريخ القديم في لبنان قبل عهد الانتداب،

        وفصل ثانٍ يركز على تعليم التاريخ القديم خلال عهد الانتداب،

        وفصل ثالث يتناول تعليم التاريخ القديم بحسب مناهج 1946.

        وفصل رابع يعالج تعليم التاريخ القديم في لبنان بحسب المناهج الحالية، ويتضمن هذا الفصل اقتراحات جديدة من حيث المنهجية والمضمون.

        ثم هناك خاتمة وستة ملاحق وفهرس اعلام وامكنة ولائحة بالمصادر والمراجع.

        في الفصل الاول عرض مضمون تاريخ لبنان كما ورد عند الأب مارتن Martinاليسوعي.

        ثم مختصر تاريخ لبنان لمؤلفه لحد خاطر. بعده يتوقف عند نيل الارب في تاريخ العرب لمؤلفه اديب لحود.

        وينتقل الى التاريخ العام لمؤلفه فيليب فان نس ميرز، ثم يعرض مؤلف يوسف السودا في سبيل لبنان. الاستنتاج، في هذا الفصل ان هناك اختلافات في النظرة الى تاريخ لبنان القديم. فلحد خاطر ويوسف السودا كان هدفهما توسيع مساحة لبنان، فيما اعتمد مرتين اليسوعي على ما ورد في الكتاب المقدس ليؤكد على تمايز لبنان عن محيطه، اما الكتب الانجليزية فلم تحمل دعوة سياسية للبنان مستقل.

        في الفصل الثاني ثمة مقدمة حول برامج العام 1924 الابتدائية والتكميلية حول مادة التاريخ، والمناهج الثانوية عام 1929.

ومن ابرز الكتب العائدة لتلك المرحلة:

-       مختصر تأريخ سورية ولبنان بقلم احد الآباء اليسوعيين.

-       لبنان وسورية بقلم اديب فرحات

-       العصور القديمة للدكتور جيمس براستد

-       سوريا ولبنان لعمر ابو النصر

-       تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين المصور للاب فردينان توتل

-   تاريخ لبنان الموجز: تأليف فؤاد افرام البستاني واسد رستم لطلبة الشهادة الابتدائية. وابرز ما يميز هذا الكتاب برأي د. أبي فاضل هو غزارة معلوماته التاريخية، والدقة في شرح مراحل التاريخ القديم ووضعها في اطار جغرافي صحيح، وابراز الانجازات الحضارية التي حققها الفينيقيون عبر التاريخ. وقد شدد المؤرخان على فرادة الهوية اللبنانية وتمايزها عن محيطها.

-       تاريخ لبنان العام لادمون بليبل

-       ملخص تاريخ سوريا ولبنان المصور: تأليف زكي نقاش وعمر فروخ

    ويلخص المؤلف في هذا الفصل الى ملاحظة الخلاف الحاد على تاريخ لبنان في عصوره كافة.

في الفصل الثالث ينطلق الباحث من مناهج التاريخ التي صدرت عام 1946 ليعرض ما ورد في بعض الكتب ومنها:

‌أ-        ملخص تاريخ لبنان للصفوف العالية الاربعة لنجيب مخول

‌ب-   العصور القديمة للسنة الاولى الثانوية تأليف لجنة من الاساتذة

‌ج-    سلسلة التاريخ الجديد للدكتور عادل اسماعيل

‌د-       التاريخ في الصفوف الثانوية لوهيب ابي فاضل ولبيب عبد الساتر ومحمود درويش وسعيد الغز

الفصل الرابع والاخير يقسم الى قسمين:

    قسم يتناول الكتب المتعلقة بتعلم التاريخ القديم بحسب المناهج الحالية. والقسم الثاني يطرح اقتراحات جديدة من حيث المضمون والمنهجية والوسائل التربوية.

    بعد عرض التاريخ القديم في المناهج الحالية في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية يعرض الدكتور مروان ما ورد في التاريخ العلمي والوافي بالتاريخ.

    يذكر (ص 207) ان مؤلفي التاريخ العلمي في الطبعة الاولى هم وهيب ابي فاضل، علم العلم، اجود فرنسيس، كريستيان الحلو. والطبعة اللاحقة كانت من تأليف وهيب أبي فاضل، علم العلم، منير سلامه، زياد غمراوي، كريستيان الحلو.

مع العلم ان الطبعة الأولى كانت من تأليف: وهيب ابي فاضل، حسان ابو عكر، عصام خليفة، هاشم قاسم.

والوافي بالتاريخ كان من تأليف علي بدران، وليد الطويل، سمير جلول.

بين ص 252 و 260 يعرض الباحث وجهة نظره في التقنيات الحديثة في تعليم التاريخ القديم.

فعلى صعيد الكتاب المدرسي ثمة مواصفات يذكرها منها:

-       الاخراج الجيد والترتيب

-       اعتماد الصور الملونة

-       لحظ الخرائط التاريخية الدقيقة

-       وضع نصوص ومستندات متنوعة

وهناك شروط لمن يريد ان يؤلف الكتب المدرسية منها:

-       ان يكون من اصحاب الاختصاص في مادة التاريخ

-       ان تتم الاستعانة بالمصادر وان يترجموا النصوص الى العربية

-       الاطلاع على المراجع الحديثة القيمة

-       متابعة المنشورات الدورية

وبموازاة الكتاب المدرسي وشروط المؤلف ثمة تأكيد على اهمية استخدام الوسائل التعليمية المساعدة: كالتلفزيون والافلام وبرامج الكومبيوتر. وفي هذا السياق من واجبات المدارس ان توفر للطلاب والاساتذة الوسائل اللازمة ومنها:

-       مكتبة تاريخية وخرائط تاريخية ورسوم ومنحوتات

-       تخصيص متحف صغير في المدرسة وغرفة لمادة التاريخ والمستندات العائدة لها

-       اجهزة عرض حديثة لعرض الصور والافلام وبرامج الكومبيوتر

    في الخاتمة يخلص د. ابو فاضل الى ضرورة وضع مناهج جديدة لمادة التاريخ بمضمون حديث ومنهجية تربوية متطورة. هذه المناهج تغطي الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية والسياسية والعسكرية والفنية وغيرها. ولا يرى ان هناك تضارب بين كتابة منهجية ومنطق توافقي.

    ويستنتج ان الكتاب المدرسي هو حاجة وطنية لتنشئة جيل لبناني منفتح، يتمتع بحس وطني لا عائلي او طائفي او مذهبي، يقرأ فيه الطلاب المستندات المتنوعة ويحللونها وينقدونها ويرفضون المعلومات والافكار المعلبة والميتولوجيات والايديولوجيات غير العلمية.

    وبالنسبة للتاريخ القديم يولي الباحث الاهمية للواقع الجغرافي واثره على السكان، والتسلسل التاريخي للاحداث والمظاهر الحضارية. وهو لا يؤيد توحيد الكتاب المدرسي لكنه مع تشديد الرقابة على تنوع الكتب من اجل الحفاظ على الشروط العلمية والتربوية والوطنية. ويأمل من وزارة التربية ان تستعين بافضل المؤرخين اللبنانيين لوضع الخطوط الاساسية لمناهج عصرية.

    ايها السيدات والسادة،

    في هذا الزمن حيث تهدم مطارق داعش مدينة الحضْـر ومدينة نمرود وتدّمر متحف الموصل، وحيث تمعن عصابات القتل والسرقة والارهاب بنهب ثروات سورية والعراق الاثرية ينجز لنا الصديق مروان كتاباً قيّماً يستعرض فيه ما ورد في اغلبية الكتب المدرسية عن تاريخ لبنان القديم. وكأنه يقوم بدفاع استباقي يحاول ان يولي ذاكرة شعبنا التاريخية، في المرحلة القديمة، الاهتمام في وعي طلابنا والاساتذة المسؤولين، في هذا السياق يمكن ان نصنّف هذا المؤلف بانه مقاومة تربوية ثقافية للدفاع عن الوطنية والمواطنية في مواجهة كل اشكال التعصب والتفرقة. انه مقاربة علمية تسعى للتحليل والمقارنة من اجل الوصول الى الحقائق العلمية التي يجب ان نسلح طلابنا بها بالنسبة لتاريخنا القديم.

    لقد استند الصديق مروان لانجاز مؤلفه على:

-       59 مرجعاً باللغة العربية

-       84 مؤلفاً وبحثاً باللغات الاجنبية

-       6 مواقع الكترونية

وهذا ما يدل على جدية العمل واهميته. وبرغم وجود بعض الاخطاء الطباعية فان الكتاب صيغ باسلوب سهل وقريب للفهم رغم صعوبات الخوض في موضوعات التاريخ القديم.

**ملاحظات متفرقة:**

1-  في ص 5 ذكر الباحث ان "الحكومات اللبنانية المتعاقبة قد الفت عدة لجان لتجديد المناهج، ولكن محاولاتها باءت جميعها بالفشل. الحقيقة ان الاكثرية الساحقة من اللجان توصلت ليس فقط الى وضع مناهج وانما ايضاً الى انجاز كتب مدرسية. لكن في مرحلة الوصاية السورية كان يتم تدخل من قبلها، كما حصل مع الوزير السابق عبد الرحيم مراد، ومؤخراً كان الخطأ في تدخل بعض السياسيين والاحزاب رغم وجود ممثلين لاغلب الاطراف في لجنة صياغة المناهج.

2-  يذكر الباحث (ص 89) ان بعض المدارس الخاصة لا تلتزم بتعليم مادة التاريخ بحسب المناهج الرسمية. وان بعض المدارس لا يدرّس المادة الا في صفوف الشهادة المتوسطة والنهائية (ص 202) هذا الواقع صحيح وغير صحي ويجدر بكل مسؤول ان يتوقف عنده ويبادر الى معالجته.

3-  يتصف المؤلف بالتواضع العلمي فهو لا يزعم انه اقفل النقاش في الموضوع الذي يعالجه، ففي الصفحة 7 يذكر انه "لا يدعي الاطلاع على الكتب المدرسية كافة" وفي ص 163 يشير الى "انه عجز عن الاطلاع على كافة الكتب المدرسية لتعليم مادة التاريخ مع العلم انه عرض لاغلبيتها" وهو يتحفظ باطلاق الاحكام القاطعة. يقول في ص 241 "مع العلم اننا نبقى بعيدين عن تقديم اجابة قاطعة حول هذه المسألة المعقدة" ويضيف "تبقى المسألة من دون حل ما دامت الاكتشافات الاثرية لم تقدم جديداً حول المسألة".

4-  كنت افضل ان يتحرى الباحث عن اسماء مؤلفي كتاب "العصور القديمة" (ص 176) (لجنة من اساتذة المدرسة البولسية) وليس البوليسية كما ورد.

5-  يشير د. مروان (ص 201) الى الحرب الاهلية التي اندلعت في وطننا بين العامين 1975 و 1990. انا اتحفظ على هذا المصطلح وافضّل مصطلح الحروب اللبنانية المركبة.

6-  يبرز الباحث "ان الوقت المخصص لمادة التاريخ (ساعة في الاسبوع) لا يكفي لاعطاء المعلومات كافة". وهذا المطلب يجب ان يكون اولوية عند رابطات الاساتذة وعنه كل حريص على بناء جيل محصّن بذاكرة تاريخية وطنية.

7-  لاحظت ان المؤلف استشهد بابحاث قليلة للمؤرخ Ernest Will، وكنت افضل ان يطلع على مجمل دراساته المجموعة في الكتاب الذي صدر عام 1995 وهو بعنوانDe l'Euphrate au Rhin aspects de l'hellénisation et de la Romanisation du Proche –Orient.وفيه الكثير مما يساعد على التعمق في تاريخنا القديم (فيه 12 فصلاً عن المناطق اللبنانية) وفيه ايضاً توضيح لتنظيم بعض المدن في المرحلة القديمة وهو جانب يجب (ايلاؤه) الاهتمام اللازم في الكتب المدرسية.

**خلاصة:**

ان تعليم التاريخ، في مجتمع متعدد الطوائف والعقائد كمجتمعنا اللبناني هو عملية جوهرية يكون من نتائجها تزايد التعاون والوحدة الوطنية، ايجاباً، او انفجار المجتمع وترسيخ تقاليد العنف واللاعقلانية سلباً. ويبقى المعلم هو اساس ومحور العملية التربوية وعلى هذا الاستاذ ان يحترم ما اعطته كل طائفة من طوائف لبنان لهذا الوطن وان يُشعر تلميذه ان تراث كل الطوائف هو تراثه هو. من هنا اهمية اعداد المعلم الناجح في اقسام التاريخ في جامعاتنا، وضرورة التدريس المستمر لمدرسي مادة التاريخ في دور المعلمين وفي كلية التربية.

ان الروحية التي عالج فيها الدكتور مروان ابي فاضل موضوعه يفرض علينا ان نشكره على كل الجهد الذي بذله، كما يجعلنا ان نأمل بإنزال الهزيمة بالفكر الداعشي على تنوع طبعاته وحتمية انتصار لبنان الدولة ومجتمع المعرفة القائم على العلم والديمقراطية  والانماء والحرية وحقوق الانسان.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**ندوة تاريخ لبنان القديم     ادارة د. انطوان ضومط**

منذ ان عاش الانسان في جماعة بدأ يعبر عن ذاته بوسائل بدائية عديدة غلب عليها الذاتي على الموضوعي، ومع ذلك شكلت تأريخا، افاد منها المؤرخون وعلماء الاثار والانتروبولوجيا في اكتشاف بعض العادات الاجتماعية ونواح من علاقة الشعوب بعضها بالبعض الآخر على مستويات متعددة. ثم تطورت وسائل التعبير ما سمح لدارسيها فهما اعمق لتاريخ مضى. وفي العصور الوسطى في المشرق العربي اعتمدت انماط متعددة عبّر بها الراوي فالمؤرخ عن نظرته الى الماضي، ونشأ عن ذلك مدرستان: الرأي في العراق والحديث في المدينة، واستمر الذاتي واضحا في ما تركه الاخباريون.

لن اغوص في هذا المعترك الشاق، انما جل ما اريد الاشارة اليه في هذا الشأن انه رغم تأثر المؤرخ ببيئة الفكرية والمذهبية، تطور التأريخ تدريجا نحو التجرد النسبي الى ان بلغ شأوى عاليا جدا بالمنهج الذي وضعه ابن خلدون الذي عجز عن تطبيقه كاملا، فاسحا في المجال امام تلميذه المقريزي ليطبقه بنسبة عالية في مؤلفاته. ومع ذلك لم يستطع مؤرخو العصور الوسطى، على رغم الجهود التي بذلوها، الانفلات تماما من تأثير عاملي الدين والمذهب فضلا عن الاقليمية، فظل الذاتي يتسرب الى اخبارهم من دون ان يطغى عليها تماما.

وفي العصور الحديثة طرحت اشكالية مهمة جدا تمثلت بالسؤال التالي: هل التاريخ علم ام فن؟ ما ادى  الى نشوء عدد من مدارس التأريخ طوّرت المناهج وبلورتها، وتقاطعت جميعها، على الرغم من الاختلافات في الوسائل، حول التحري الجدّي عن حقيقة الماضي، التي هي في اساس مطلقة، وقد لا يعرفها كليا من شارك في صنعها اوشاهد الحادثة بام العين. وبالتالي يظل الوصول اليها كاملة ابدا نسبيا، ومرهونا بتوفر المصادر واخضاعها للنقد الموضوعي. لأن الوثيقة او النص معين زاخر بالمعلومات بمقدار ما تطرح عليه اسئلة ذكية يجيبك. ما يعني العمل الجدي لاعادة صوغ الماضي كما حدث.لان التأريخ عملية مجهدة ومضنية، وتطلب الكثير من الجرأة والجهد والحياد. ويسعى المؤرخ الرصين للحصول على اكبر قدر ممكن من المصادر على اختلاف انواعها، ويتبحر بالاخبار والروايات، من اجل غربلتها ومقارنته بعضها بالبعض الآخر، ومن ثم يعيد تركيبها للاقتراب قدر المستطاع من صوغ الماضي كما حصل، لا كما يشتهي هو حصوله. لأن من يكتب التاريخ بمواقف مسبقة ليس مؤرخا انما مؤدلج يخدم فقط تطلعاته ورؤى الخط الذي ينتمي اليه.

ونحن قي لبنان ننتمي الى طوائف ومذاهب وعائلات وعشائر ... ونخضع لمؤثرات محيطنا الاجتماعي والذهني والعاطفي والسياسي والاقليمي، ما يشوش رؤية بعض المؤرخين الى الماضي. فيتم اعادة تركيبه  كما يشتهي بعضهم لا كما يفترض ان يكون. فتُسقط مصادر عمدا، وتُجتزأ بعض الروايات، وتُهمل روايات أخرى، ويُسّلط الضوء على نواح، ويمر على بعضها الاخر هامشيا، فتضيع الحقيقة، ويصبح التارخ مشوشا. ما يعيدنا الى بعض مفاهيم مناهج العصور الوسطى. وقد يكون بعض مؤرخي تلك العصور أكثر موضوعية لأنهم لم يؤرخوا من منطلق ايديولوجي. ويحضرني سؤال مركزي: كم من الذين ألفوا كتبا مدرسية يتقن لغات قديمة، على الاقل لغة واحدة؟! باعتقادي انهم اعتمدوا على مراجع محددة. ومن البديهي القول: ان المراجع ليست كلها موثوقة، فبعضها قد يقع في خطأ اعادة التركيب من غير قصد، والبعض الآخر عن دراية. وبالتالي من يعتمد في التأليف، ولا اقول التأريخ، على المراجع فقط سيقع في الخطأ مرغما.

على هذا، لا يعتبر كتاب الدكتور مروان ابي فاضل "تاريخ لبنان القديم..." الزاخر بالاسس المنهجية الآنفة الذكر تأريخا بقدر ما هو نقد لنظرة المؤرخين الذين تناولوا تاريخ لبنان والمشرق العربي في مرحلة التاريخ القديم. فهو، في هذا المجال، عملية تقويمية للكتب المدرسية التي تناولها. فكل واحد من مؤلفيها قدم رؤيته لهذا "اللبنان" فجاء عند بعضهم مستقلا منذ ان نشأ، وعند البعض الآخر مستقلا نسبيا، ورأه فريق ثالث فنيقيا فقط. والفينيقيون عند فريق ساميون جاءوا من الخليج العربي، ويرد فريق آخر اصلهم الى الفرس او غيرهم. ونظر مسيحيون مستشرقون الى لبنان على انه وطن للمسيحيين فقط، ورسموا له حدودا تتوافق مع نظرتهم. وهو عند بعض المسيحيين اللبنانيين مستقل منذ فجر التاريخ، وقد اسسه اجدادهم. وتواضع فريق منهم وسمح للمسلمين ان يكونوا شركاء فيه. ومرّ مؤرخون مسلمون على لبنان والفينقيين مرورا هامشيا، فلم يعدُ لبنان بنظرهم سوى جزء من عالم سامي واسع، ولا وجود له خارج انتمائه الجغرافي والاتني العربيين على الاقل.

ان محاولة الدكتور ابي فاضل النقدية مهمة جدا كشفت بدقة ايديولوجية من كتب تاريخ لبنان القديم، من دون ان يتخذ موقفا مسبقا من المؤرخين، انما اضاء على الثغر في مؤلفاتهم، واشاد بمن اجاد مبرزا حيادهم. وهذا منهج مهم لتعرية اصحاب المواقف المسبقة من التاريخ. وبالتالي أتساءل مع مؤرخين آخرين: ما الافادة من كتابة تاريخ موحد في مراحل التعليم المدرسية؟ ألن تكون كتابة تاريخ توافقي؟! وبالتالي من سيتنازل لمن، وفي اية مواضيع، ولصالح من، أهي للسياسيين ام للانتماء الطائفي او المذهبي؟! نها بدعة جديدة تحمل في طياتها ادلجة التاريخ، واللعب على الحقيقة الماضوية.

 ان هذا التخبط بكتابة تاريخ لبنان في مراحله كلها القديم والوسيط والحديث والمعاصر، لن تصير تأريخا ما دامت الطائفية تذر قرنها وتتلاعب بمواقف المؤرخين، وما دام من يدعون التأريخ يخضعون للسياسيين، او على الاقل يحابونهم. ومع ذلك نجد قلة من المؤرخين نبذو تلك المواقف، ولا ينقادون لاحد وجهدوا في سبيل تبيان الحقيقة الماضوية، ويكدون دوما وقدر المستطاع لاعادة رسم الماضي كما حصل. وانني آمل ان يزداد نضالهمهم وينهج  كثيرون نهجهم. ولا أغالي ان قلت ان من بينهم من سينتدي معنا في هذه اللقاء الفكري في هذا المساء.

مناقشة كتاب مروان أبي فاضل[\*](http://www.mcaleb.org/ar/al-nadawat-wa-aliqaat/444-marwanabifadel.html%22%20%5Cl%20%22_ftn1)

**تاريخ لبنان القديم في الكتب المدرسيّة اللبنانيّة**

(من القرن التاسع عشر حتّى اليوم)

**الدكتور أنطوان القسيس**

أُستاذ التاريخ القديم في الجامعة اللبنانيّة

تفتحّت عيناه، وفي فمه كتاب!

نَذرَه والدُه للكلمة، فصار وزنُه ذهبًا!

كبُر والكتابُ يكبُرُ معه وفيه حتّى أصبح توأمَ حياتِه.

له من الحياة عشقان: عِشق **نجلاه** التي بنى معها عائلة لبنانيّة على أصالةٍ أخلاقيّة مُتجذرة فيهما من البيت الوالدي؛ وعِشق كتاب نَما فيه من الصغر وأصبح ناسكًا له على كِبر!

تعرَّفتُ إليه، في كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة ــ الفرع الثاني في الجامعة اللبنانيّة، في سنوات الإجازة، فتوسمت فيه خيرًا واعتبرته، يومذاك، مشروعَ باحث له من غده ما سَيؤكدُه.

عرَفته أكثر بعد تحضيره وبإشرافي، أولًا في الجامعة اللبنانيّة، رسالة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، بعنوان: **تاريخ لبنان القديم من خلال مؤلفات المطران يوسف الدبس**؛ وثانيًّا في جامعة الروح القدس ــ الكسليك، أُطروحة الدكتوراه بعنوان: **الحضارة الكنعانيّة ــ الفينيقيّة من خلال المصادر العربيّة (القرن التاسع ــ القرن السادس عشر)**، العام 2007، فتأكدتْ لي صِحةُ ما توسمت فيه.

بدأ، بعد الدكتوراه، حياته البحثيّة وله فيها حتّى اليوم خمسةُ أبحاثٍ علميّةٍ منشورة وغيرُها على انتظار، وأربعةُ كتبٍ: ثلاثةٌ منها مدرسيّة، وآخرها ما نجتمع اليوم للإحتفال بولادته.

قرأت الكتاب...!

فأعادني إلى أمسٍ كُنت فيه حكواتيُّا أروي على ناشئةٍ قصصًا فيها من المعرفة التاريخيّة الاسم فقط. وكانت أشبه بقصصِ جديّ عن بطولات بني هلال وعنترة ومَنْ زاملهما في مُخيلة الجدّ.

دفعني هذا الكتاب إلى مراجعة الماضي!

جعلني أندم على مرحلة من العمر، وأنا لم أندم على كلّ ما فعلته في حياتي العمليّة، وهي مرحلة التعليم المدرسي وكُنت في بداية الطريق. مرحلةٌ أعدمتُ فيها الوقت، حرقتُه، وذريتُ رمادَه في أعين أجيالٍ من اللبنانيّين كانوا يطلبون مني معرفة تاريخيّة صحيحة فأوصلت لهم سُمومًا ثقافيّة حملتها إليهم من المنهج الرسمي ومن الكُتب التي وُضعت على أساسه.

أدركتُ يومئذٍ مأساةَ التعليم والتربيّة في لبنان، ولم أتعجب بعدها أو أتساءل عن اسباب الصراعات التي حلت وتعيش دائمًا معنا كجزء أساس من **المسألة اللبنانيّة**. وأعتقد، عن حقٍّ، أن التاريخ اللبناني في مفاهيمه التربويّة والمعرفيّة المتّبِعة في لبنان، يُشكل السبب الرئيس لهذه المسألة. إذ أن الذاكرة التاريخيّة لم تُشكل، يومًا، عند اللبنانيّين وحدة مُجتمعيّة، لا بل نظروا إليها من منظار انتمائهم الطائفي والمذهبي والجغرافي والإيديولوجي. فالمفهوم الوطني وبناء الدولة وجهةُ نظرٍ لدى اللبنانيّين. كلٌّ يُغنّي على ليلاه ويُبشر بإيديولوجيته على أنها المعرفةُ التاريخيّةُ الوحيدةُ المُنزَلة والمُنزَّلة من العالم الإلهي. أما الاعتراض أو النقد أو المُطالبة بقراءة هادئة علميّة للمنهج التربوي لوضع مفهوم سليم لهذا التاريخ، فعاقبته الرجم والرشق بالحِرم الدينيّ والفصل من قافلة المتنورين أصلًا بالديماغوجيّة وادعاء الإصلاح.

تركت التعليم المدرسي، وتوجهت نحو التعليم الجامعي علّني أجد ضالتي في المناهج الجامعيّة التي عملت مع زملاء لتطويرها ومطابقتها مع البرامج الأوروبيّة. وهنا كانت مأساةٌ قديمة جديدة كانت، ولمّا تزل، حول المفاهيم التاريخيّة وكيفية بناء المواطن تربويًّا وثقافيًّا. وتبيّن لي أن الأزمة الكبرى تكمن في غياب فلسفة تربويّة وطنيّة سليمة. فوقعنا في المحظور، والممنوع، والمرغوب، وكلها لا علاقة لها بالمفاهيم التاريخيّة العلميّة. فانسحبت على صدام مع نفسي أولًا، وتاليًّا مع الأصدقاء والزملاء.

غاب الآمل وبقية الأزمة/المسألة الكبرى تعيش وتتغذى على حساب الوطن، ونأملّ أن يأتي يومٌ نُدرك فيه الكارثة التي نُغذيها على الدوام.

كان لا بدّ من وضع الإصبع على الجرح، ولو ولّد ألمًا كبيرًا عند الغيارى على أدلجة الذاكرة اللبنانيّة.

مروان أبي فاضل ارتكب المَعصيّة اللبنانيّة الكُبرى، ويستأهل الرجمَ والحِرمَ الإلهي. تجرأ، فكتب في المحظور، وارتكب الخطيئة اللبنانيّة الأصليّة عندما بيّن، عن حقّ، انحراف البرامج التربويّة ومضمون الكُتب التاريخيّة المدرسيّة، منذ القرن التاسع عشر حتّى اليوم، عن المعرفة التاريخيّة السليمة.

كان تركيزه على التاريخ القديم، فيا ليته توسع في حقبات هذا التاريخ اللبنانيّ كافة، لتَبين له أن ما ينسحب على التاريخ القديم في لبنان ينسحب أيضًا على الحقبات التاريخيّة كافّة. ولكان أدرك عُمق المشكلة اللبنانيّة في ما خطّطه لها عقلٌ لبنانيٌّ تجمّعت فيه كلّ المتناقضات اللبنانيّة البعيدة عن بناء المواطنة الصحيحة.

حسنًا فعل مروان أبي فاضل في مقاربته لموضوع الكتاب الذي جاء على وضوح في الأسلوب بالرغم من بعض الشوائب اللغويّة التي لا تقلل من قيمة الكتاب العلميّة. لكن نأخذ عليه إغفاله كتاب لبيب عبد الساتر، **الحضارات**، دار المشرق، بيروت، الطبعة 17، 2008، وكان وُضع في التداول منذ السبعينيات من القرن الماضي. إنه نموذج علميّ وحيد ويتيم بين كلّ الكتب المدرسيّة، وتمّيز بمنهجيّة جديدة ومقاربة تربويّة متطورة كانت صعبة على أساتذة التعليم المدرسي كونهم غير متخصصين في التاريخ القديم ولا يُدركون مسائله وكيفيّة مقاربته. لذا انحصر اعتماد هذا الكتاب على عدد قليل من المدارس. لذ فالمقارنة بينه وبين مُجمل الكتب المدرسيّة تُبيّن أن لبيب عبد الساتر كان يُغرد خارج المألوف المُعتمد عند البقيّة.

وتزداد المسألة تعقيدًا وعمقًا مع الكُتب الطائفيّة التي أفرزتها فترة الحروب اللبنانيّة وما بعدها. إذ عمدت بعض المجموعات الطائفيّة والحزبيّة إلى وضع كُتبِ تاريخٍ لمدارسها أو لمناطقها وجرى فرضها عمدًا على ناشئة أُريد لها أن تتموضع ثقافيًّا وإيديولوجيّا في بيئاتها المُنغلقة على ذاتها.

فتربت أجيالٌ من اللبنانيّين على الجهل العلمي وعلى نبذ الآخر وعلى التفوق البنيوي في الانتماء على شاكلة تمجيد الحضارات والعِرقيات في أوروبا في القرن التاسع عشر. وهي مقولات متطرفة أصوليّة المنحى، ولّدت عدة حروب كُبرى وحصدت الملايّين من القتلى الأبرياء في عالمنا المُعاصر.

وهنا نأخذ على مروان أبي فاضل عدم تمكنه من الاستفاضة في دراسة الكُتب التاريخيّة ذات الطابع السنيّ أو الدرزي أو المسيحي أو الشيعي لاحقًا، وإن أشار إلى بعضها عرضًا في سياق بحثه (ص. 201 ــ 202)، وربما كان السببُ في ذلك عدم تمكنه من الحصول عليها، لبانت له فوضى فكريّة ثقافيّة تربويّة مُؤدلجة تزرع ريح الفوضى في العقول لتحصد بعدها العاصفة التي لن تُبقي على أحد!

أما بعد!

إنها خطوة الألف ميل على طريق البحث العلمي. فلا تتوقف، يا صديقي، عند ملاحظات أو اعتراضات حول مضمون الكتاب، وحول ما ستكتب. لأن فيها التحامل والتجني أكثرَ من النقد البنّاء.

فلو قرأنا كلَّ ما كُتب في لبنان، باللغة العربيّة، حول تاريخ الكنعانيّين/الفينيقيّين، منذ القرن الخامس عشر حتّى اليوم، ولنا دراسة مفصلة حولها نشرناها بالفرنسيّة العام 2008 في باريس، لتبيّن لنا هذا التناقض المعرفي حول هذه الفترة الطويلة من تاريخ لبنان القديم، ولأدركنا العشوائيّة والمحسوبيّة وضعف الذاكرة الثقافيّة في كيفيّة وضعِ المناهجِ التاريخيّة وكتبِها منذ عهد المتصرفيّة إلى لبنان الاستقلال.

فيا مروان، أكمِل ما بدأتْ بالتزام علمي حكيم.

"**قُل كلمتَك وامشِ**"، فالتاريخُ، وحدُه، يُنصفُ ما كتبتْ، وما ستكتب!

بورك المولود الجديد في عائلتك الكبيرة!

والآملُ معك بلقاءٍ قريب!

[**\***](http://www.mcaleb.org/ar/al-nadawat-wa-aliqaat/444-marwanabifadel.html#_ftnref1)**ــ**كلمة أُلقيت الخميس 16 نيسان 2015، في الحركة الثقافيّة ــ إنطلياس، لمناقشة كتاب مروان أبي فاضل، **تاريخ لبنان القديم في الكتب المدرسيّة اللبنانيّة (من القرن التاسع عسر حتّى اليوم)**، بيروت، 2014.

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

**تاريخ لبنان القديم في الكتب المدرسية اللبنانية**

**(منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى اليوم)**

**الدكتور مروان أبي فاضل**

شهد القرن التاسع عشر في لبنان نموا في عدد المدارس، اهتمت مع الوقت بتعليم مادة التاريخ، اعتمدت بعضها كتبا باللغة العربية، وغيرها اعتمدت كتبا أجنبية فرنسية أو انكليزية. يمكن أن نميّز بشكل عام بين ثلاثة تيارات أساسية أثّرت على كتابة التاريخ القديم في تلك الفترة. التيار الفرنسي اليسوعي نرى مؤثراته في كتاب الأب "مرتين اليسوعي" مؤلِّف تاريخ لبنان، وهو سعى إلى التركيز على تمايز لبنان عن محيطه، وعلى استقلاله منذ أقدم العصور.

التيار الأميركي البروتستانتي نشأ في رحاب الجامعة الأميركية في بيروت، ومن أبرز ممثليه "فان نس مَيرز" مؤلف كتاب التاريخ العام، و"جايمس براستد" مؤلِّف كتاب العصور القديم. كتب المؤرخان تاريخ الشرق القديم ومن ضمنه تاريخ فينيقيا، من دون أن يخصّا لبنان بإشارة مستقلة، فلم يربطا بين تاريخه وتاريخ الفينيقيين.

أما التيار الثالث فعبّر عنه مؤلفون لبنانيون، تأثروا بانتماءاتهم الطائفية والفكرية، وتركوا كتبا تاريخية اعتمدت عليها بعض المدارس لتعليم طلابها، أبرز هذه الكتب: "تاريخ لبنان" لمؤلفه لحد خاطر الذي أبرز فيه تاريخ لبنان المستقل عن محيطه؛ ونيل الإرب في تاريخ العرب لمؤلفه أديب لحود الذي درس فيه تاريخ العرب قبل الإسلام واكتفى بإشارة بسيطة إلى تاريخ لبنان القديم؛ وفي سبيل لبنان لمؤلفه يوسف السودا، والكتاب الأخير حمل دعوة سياسية واضحة، تدعو إلى استقلال لبنان، وتحثّ الجيل اللبناني الشاب على تعلّم التاريخ ليحقق استقلال بلده وليحافظ عليه.

بعد الحرب العالمية الاولى، وضعت سلطات الانتداب الفرنسي مناهج التعليم الابتدائية والتكميلية (1924) والثانوية (1929)، ومنها برامج التاريخ. كانت المناهج موحدة للبنان وسوريا، وضعت المناهج خطوطا عريضة، ولم تدخل في التفاصيل، فاستفاد بعض المؤرخين من هذا الواقع، ووضعوا كتبا سعوا من خلالها إلى إبراز تاريخ لبنان المستقل. وبرز التناقض بشكل خاص بين تيارين:

-         الأول: برز خصوصا في كتاب"تاريخ لبنان الموجز" لفؤاد افرام البستاني وأسد رستم، يعكس وجهة نظر لبنانية سعت إلى إبراز تاريخ لبنان المستقل عن محيطه منذ أقدم العصور.

-         الثاني: برز في كتاب "تاريخ سورية ولبنان المصوّر" لزكي نقاش وعمر فروخ، وهو يعكس وجهة نظر قومية سورية تنظر إلى لبنان كجزء من وطن أوسع.

تأثرت بعض الكتب بالتيار الأول، وتأثرت بعضها الآخر بالتيار الثاني، فيما التزمت معظمها بالمنهج الرسمي.

بعد استقلال لبنان (1943)، عمل اللبنانيون على توحيد نظرتهم إلى تاريخ بلادهم، وتمّ فيالعام 1946 وضع برامج تعليم جديدة للبنان المستقل، وأدخلت مادة التاريخ في الامتحانات الرسمية لشهادة البريفة والسرتفيكا، وأصبح تعليمها باللغة العربية، وتقاربت مضامين الكتب المدرسية من بعضها البعض، لكن الأساليب التربوية كانت متفاوتة. وفي العام 1968 تمّ تجديد المناهج، وتطورت الكتب من حيث الشكل ولكن المضمون لم يشهد تطورا علميا واضحا. أما في العام 1997 فوضعت مناهج جديدة للتعليم في لبنان، وتمّ استثناء مادة التاريخ، وكانت الحكومات اللبنانية المتعاقبة قد ألّفت عدة لجان لتجديد المناهج**[[1]](http://www.mcaleb.org/ar/al-nadawat-wa-aliqaat/444-marwanabifadel.html%22%20%5Cl%20%22_ftn1)**، ولكن محاولاتها باءت جميعها بالفشل.

تناولنا في كتابنا التحولات التي رافقت تطور تعليم تاريخ لبنان القديم، حلّلنا نظرة الكتب المدرسية ومدى مواكبتها الاكتشافات الأركيولوجية والدراسات المعاصرة، ومدى ارتباطها بالمناهج، وكيفية تأثرها بالحركة الفكرية والثقافية والسياسية التي كانت سائدة في حينها.

أما الدافع الأساسي لتأليف هذا الكتاب فينطلق من الرغبة في تطوير الكتاب المدرسي اللبناني ليواكب التطورات العلمية والأركيولوجية، عبر الاطلاع على الكتب السابقة، وتحديد مكامن ضعفها وقوتها، لعلنا ننجح في تأليف كتاب علمي وتربوي حديث على غرار الكتب المعتمدة في الدول المتقدمة. وهدفنا إخراج الدراسات الجامعية من حلقات علمية ضيقة يهتم لها بعض الأساتذة، إلى دائرة أوسع يستفيد منها أساتذة المدارس وطلابها. إن هذا الربط بين المدرسة والجامعة ضروري لتطوير مستديم للمناهج، ولتحسين أداء الأساتذة، ولتصبح مادة التاريخ قادرة على نقل أخبار من الماضي وفق أساليب حديثة، تنّمي قدرات الطلاب وتتيح لهم إمكانية النقد والتحليل.

توزع الكتاب على أربعة فصول وخاتمة وملاحق:

**ـ الفصل الأول**: تعليم التاريخ القديم في لبنان قبل الانتداب.

**ـ الفصل الثاني**: تعليم التاريخ القديم في لبنان خلال عهد الانتداب.

**ـ الفصل الثالث**: تعليم التاريخ القديم في لبنان بحسب مناهج 1946.

**ـ الفصل الرابع**: تعليم التاريخ القديم في لبنان بحسب المناهج الحالية/اقتراحات جديدة من حيث المنهجية والمضمون والوسائل التربوية.

الخاتمة، أستعرضنا فيها الاستنتاجات التي توصلنا إليها، والآفاق العلمية التي تنفتح أمامنا، في المجالات الأكاديمية والتربوية. وأرفقناها بمستندات متنوعة، منها جداول توضّح كيفية تطور ساعات التاريخ في المدارس اللبنانية، وخرائط مساعدة على فهم أوضح لتاريخ لبنان القديم.

تؤكد دراسة نظرة الكتب المدرسية اللبنانية إلى تاريخ لبنان القديم على ضرورة وضع مناهج جديدة بمضمون جديد ومنهجية تربوية حديثة. إلا أن التأليف المدرسي له خصوصيته، فهو يهدف إلى نقل المعلومات التاريخية بطريقة تربوية سهلة وشيقة لا تغرق الطلاب بمتاهات النظريات والأساليب التلقينية.

إن نجاح المنهج الجديد، إذا أبصر النور، يبقى مرتبطا بتأليف كتاب مدرسي حديث، ولا نؤيد فكرة حصر التأليف بجهة واحدة، بل نرى أن إعطاء حرية التأليف إلى دور نشر عديدة، يؤدي إلى مزيد من التنافس فيما بينها، وبالتالي تحسين نوعية الكتب، ويدفع الدور إلى التعامل مع أفضل المؤرخين، مع ضرورة تشديد وزارة التربية الرقابة على كل كتاب، لتكتمل فيه الشروط العلمية والتربوية والوطنية.

ويبقى الأمل أخيرا بوزارة التربية، التي تقع عليها كامل المسؤولية لوضع المنهج الجديد، عبر الاستعانة بأفضل المؤرخين اللبنانيين، ليضعوا الخطوط الأساسية لمنهج عصري، لعله يسهم في تغيير نظرة الطلاب والمجتمع لمادة التاريخ، كمادة علمية تحمل هدفا شريفا يتمثل بتعريف المواطنين على أخبار أجدادهم وآبائهم، وحثّهم على الاطلاع والمعرفة، والتواصل مع محيطهم والانخراط في العالم المعاصر.

**الدكتور مروان أبي فاضل**

**أستاذ التاريخ القديم في كلية الآداب والعلوم الانسانية، الفرع الثاني.**

[**[1]**](http://www.mcaleb.org/ar/al-nadawat-wa-aliqaat/444-marwanabifadel.html#_ftnref1)**ـ**نصّ اتفاق الطائف على وضع منهج موحّد للتاريخ وكتاب أوحد لجميع اللبنانيين، وتشكلت بين العام 1997 و2011 عدة لجان لتحقيق هذا الهدف، إلا أن ظروفا عدة حالت دون الوصول إلى تحقيق الهدف المنشود. منها ظروف ترتبط بإشكالات سياسية بين اللبنانيين انعكست على قراءة التاريخ. ونعتقد بضرورة تجاوز هذه الظروف، ونؤمن أن هناك مخارج علمية لكل المشاكل المطروحة.

# كتاب التاريخ : كل يؤرخ على ليلاه



[](https://www.facebook.com/sharer.php?u=https://www.newlebanon.info/lebanon-now/200357/-%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE--%D9%83%D9%84-%D9%8A%D8%A4%D8%B1%D8%AE-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D9%84%D9%8A%D9%84%D8%A7%D9%87&t=" \o "شارك المقال عبر فايسبوك" \t "_blank)



**كان لكتاب التاريخ الذي أعدته اللجنة المؤلفة  من : "** **رئيسة المركز التربوي للبحوث والانماء الدكتورة ليلى فياض، الدكتور علي بزي ممثلاً حركة أمل، الدكتور محمود حداد "مستقل"، علي الحلاق من المقاصد، الدكتورة سعاد أبو الروس سليم "مؤرخة ومستقلة"، الدكتور جورج شلهوب "قوات"، الدكتور طوني ضو "عوني"، الدكتور الياس قطار "مستقل"، الدكتور حسن جابر "حزب الله"، الدكتور انطوان حكيّم "كتائب"، الدكتور عصام خليفة "مؤرخ مستقل"، الدكتور عبد الرؤوف سنو "مؤرخ مستقل"، أنور ضو "الحزب الاشتراكي"، الدكتور وجيه كوثراني "مؤرخ مستقل"، وأمال وهيبه منتدباً من المركز التربوي " .**

**ان يبصر النور في الـ 2010 بعدما حظي بموافقة مجلس شورى الدولة وحوّل إلى مجلس الوزراء ، غير ان هذه الولادة القيصرية لهذا الكتاب الذي سيحمل بين صفحاته حقائق نعرفها ونتجنب الاعتراف بها لم تتم .**

**ليخضع الكتاب  في فترة حكومة الميقاتي لإعادة قراءة النص وليكون تحت مختبر التعديلات التي أدخلتها اللجنة الوزارية التي ترأسها الوزير نقولا فتوش، هذه التعديلات التي كانت تهدف أو لذكر شخصيات غيبها التاريخ أو لتجنب ذكر أحداث يخاف المعنيون من مواجهتها ، أو لنسف محطات تاريخية أساسية .**

**أما النص الأصلي الذ أعدته اللجنة و الذي كان سيعتمد قبل لعبة التعديلات فهو وبحسب "جريدة النهار" يتضمن عدة محطات أساسية هي :**

**"يقرأ المتعلم، على خط زمني، أهم الحوادث والمراحل التي ميزت تاريخ لبنان. والجزء من المنهج المتعلق بمرحلة الحرب في لبنان 1975- 1990، يعتبر الأهم في طريقة عرض ما حصل في لبنان في هذه المرحلة، وهي التي كانت تقسم اللبنانيين بين منطقتين. فيتضمن المنهج مسار الحرب في لبنان، العامل الفلسطيني المسلح ودوره في حرب لبنان، مصلحة العدو الاسرائيلي ودوره في تأجيج الحرب، انعكاس الحرب الباردة والصراعات العربية - العربية على لبنان، دخول الجيش السوري في العام 1976 ودوره في ادارة الأزمة، استشهاد كمال جنبلاط، اخفاء الامام موسى الصدر، الاجتياح الاسرائيلي الاول للبنان (1978) والقراران 425 و426، المواجهات ما بين الجبهة اللبنانية والقوات السورية وحوادث الاشرفية (1978) وزحلة (1980- 1981)، الاجتياح الاسرائيلي الثاني (1982) وخروج الوحدات السورية والمقاومة الفلسطينية من بيروت، انتخاب بشير الجميل رئيسا للجمهورية واستشهاده، مجازر صبرا وشاتيلا، رئاسة امين الجميل، حرب الجبل، انتفاضة 6 شباط، واسقاط مشروع اتفاق 17 أيار، خروج القوات المتعددة الجنسيات، الاتفاق الثلاثي واسقاطه، خطف الاجانب، عودة القوات السورية الى بيروت الغربية، سيطرة الميليشيات على مقدرات الدولة، استشهاد الرئيس رشيد كرامي، القوى الرافضة للحرب (النقابات والمجتمع المدني...)، نهاية ولاية امين الجميل وعهد الحكومتين (عون والحص)، حرب التحرير، التهجير والهجرة، اسعار صرف الليرة وانعكاساتها.ويعرض المنهج اتفاق الطائف ومسيرة الاستقرار والعمران، ملخصاً عن مقرراته ودور رفيق الحريري فيه، استشهاد الرئيس رينه معوض وانتخاب الياس الهراوي رئيسا للجمهورية والتمديد له، اتفاق الطائف وتطبيقه، تعديل الدستور، دخول الجيش السوري الى المناطق الشرقية، ازاحة حكومة الجنرال ميشال عون 1990، نزع سلاح الميليشيات باستثناء سلاح المقاومة والمنظمات الفلسطينية، الانتخابات النيابية، سياسة اعادة الاعمار، مصالحات الجبل، السينودس وأثره، مرسوم التجنيس، الانسحاب الاسرائيلي، قرنة شهوان وحركات المعارضة وقمعها، التمديد للرئيس لحود، قرار مجلس الامن 1559، ظروف اغتيال الحريري وثورة الأرز، استقالة حكومة عمر كرامي، الضغط الخارجي والداخلي وخروج الجيش السوري من لبنان، حكومة نجيب ميقاتي والانتخابات النيابية والبلدية، مجيء حكومة فؤاد السنيورة، تشكيل المحكمة الدولية، اتساع عمليات الاغتيال، انسحاب وزراء المعارضة من الحكومة والاعتصام في الوسط التجاري (2007- 2008)، معارك نهر البارد، حوادث السابع من أيار 2008: أسبابها وتداعياتها، اتفاق الدوحة، انتخاب الرئيس ميشال سليمان رئيسا للجمهورية، وتشكيل حكومة الوحدة الوطنية."**

**هذا النص الذي قد حظي بإجماع ، لم يكتمل ، فبالرغم من معرفتنا بالوقائع وبكل الظروف التي أحاطتها غير أن هناك صعوبة ومخافة من المواجهة مع تجاهل أن هذه المواجهة هي الحل وهي التسوية حتى نتعلم من أخطاء الماضي فلا نكررها .**

**وظل كتاب التاريخ عالقاً حتى تاريخ اليوم ، غير أن تطور بارز شهدناه على ساحة "التعديلات" وهو إعلان وزير التربية بو صعب في 7 نيسان عن حصوله على توافق سياسي بنسبة 95% حول الكتاب وبانه يعمل على الـ 5% ليصل لإجماع حوله .**

**هنا ، لا بد أن نضع عدة استفهامات وأهمها على أي أساس وعلى حساب أي تاريخ تم هذا التوافق ؟**

**فموقع لبنان الجديد أراد أن يجد أجوبة لتساؤلات العديد من الناس ألا وهي :**

**هل يحق إدخال تعديلات على كتاب التاريخ ؟ وهل من الجائز أن يكون الكتاب خاضعاً لضغوط سياسية تغير في مجرياته ؟ وهل يحق لنا ان نحذف محطات منه خوفاً من مواجهتها ؟**

**في هذا الصدد كان لموقعنا ان أجرى اتصالات مع أهل الإختصاص ، ففي اتصال مع الدكتور الكسندر أبي يونس وهو دكتور في التاريخ الحديث والمعاصر في الجامعة اللبنانية الفرع الأول .**

**ففي سؤاله عن جهوزية لبنان لكتاب تاريخ يتحدث عن كل الوقائع بشفافية وبصدق ؟**

**أجاب الدكتور الكسندر أنه يجب أن يكون هناك كتاب يذكر الوقائع كما هي كي يتجنبوها فيما بعد ، يجب أن نكتب الحقيقة حتى نتعلم من أخطاء الماضي .**

**وعن أفضلية البقاء على الكتاب القديم أم اعتماد كتاب جديد أدخل على نصه تعديلات قد يتم بها تجاوز بعض المحطات التاريخية والدقيقة في هذا الكتاب لكونها حساسة ؟**

**قال الدكتور لنكتب كتاب جديد به الحقائق كما هي أو لنبقي الكتب القديمة كما هي .**

**أما عن سؤاله من أين يفترض أن يبدأ هذا الكتاب عند أي مرحلة ؟**

**أجابنا ، منذ أيام الفينيقيين ، الرومان ، البيزنطيين ، الموارنة ، العرب ، الفتوحات العربية (هناك اشكال  هل هي فتوحات عربية او دخول عربي ) ، المناطق اللبنانية في القرون الوسطى ، عهد الامويين ، العباسيين ، المماليك ، فترة الصليبيين ، لبنان الحديث مع العهد العثماني ، نظام حكم الأمراء في جبل لبنان ( معنيين ، شهابيين) ، نظام القائمقامتين المتصرفية  ، ودولة لبنان الكبير (يجب الحديث هنا بالتفصيل) .**

**في العام 1943 كان هناك وجهتا نظر بين اميل اده (استقلال لبنان ولكن لبنان بحاجة لحماية دولية حتى يستقر) وبشارة خوري (الانفتاح على العرب والاستقلال عن فرنسا) والتي تمت هي فكرة بشارة خوري واستمر العهد ، سقط بشارة خوري في 1952 في الثورة البيضاء ، عهد كميل شمعون (مهم جداً) أيضاً أصبح هناك وجهتا نظر أدتا إلى ثورة 1958 ، على أثر هذه الثورة عهد فؤاد شهاب (قائد جيش ومؤسساتي أفضل عهد يجب التركيز عليه هو الذي أسس المؤسسات التي ما زال لبنان قائم عليها هو الذي فهم اللعبة اللبنانية وتكوين المجتمع اللبناني ) ، من بعده دخل لبنان في محاور كان بغنى عنها وظهر رأيان في البلد رأي قال علينا بالحياد ورأي قال نحن بصلب الحدث ويجب أن نكون بالأزمة (علينا أن نعرض وجهتا النظر ونترك للطالب أن يقرر ويحلل ويعلم أين مصلحة لبنان ) .**

**الحرب الأهلية 1975 يجب أن نتحدث عنها بكل تفاصيلها ، (فرنسا وألمانيا وهم أعداء توصلوا لأتفاق بعدما ذكروا الحقائق كما هي ) .**

**يجب التحدث عن الجيش فهو المؤسسة الوحيدة التي توحدت بعد الحرب الأهلية سريعاً وهي التي بفضلها ما زال لبنان ثابتاً حتى الآن ، وهي المؤسسة الأولى التي ما زالت تتبع القانون وتطبقه .**

**يجب أن يخصص درس كامل عن دور هذا الجيش ليس العسكري بل الإنمائي أيضاً ، فعدا الحرب والانقسام في حينها ، فهو الجيش الوحيد الذي لم ينقلب على السلطة السياسية .**

**وعن ضرورة ذكر الأوطان العربية وتاريخها في منهجنا  كما في الكتاب القديم ؟**

**قال نذكره لنذكر الفروقات فلبنان هو البلد الوحيد الذي حارب العدو الاسرائيلي وتحمل النزوح الفلسطيني واليوم يتحمل السوري بينما هناك دول قامت بمضي اتفاقات سلام مع اسرائيل وأصبح هناك علاقات دبلوماسية بينهم وبينها .**

**كذلك من ناحية الجيوش ، فالجيش اللبناني لم يحارب ولا دولة عربية ولم يقم بإنقلاب وهو الوحيد الذي انتصر بمعركة الملكية ضد العدو الاسرائيلي بينما حينما سلم الملكية لجيش العرب والإنقاذ هزموا .**

**بالإضافة أن للجيش اللبناني مسؤوليات إنمائية تنموية اجتماعية ، فهو يلعب دور هام في الداخل هو الحكم بين الأطراف .**

**لا بد من إصدار كتاب تاريخ جديد يتحدث عن كل مكونات المجتمع اللبناني ومن أين أتت ، فالطوائف اللبنانية هم جماعات هربوا من جماعاتهن الكبرى والتقوا في لبنان وعليهم أن يحكموا هذا البلد وأن يتعلموا من الحروب الماضية لأن لا أحد ينتصر إلا الوطن .**

**أما عن سؤاله أين يجب أن يتوقف هذا الكتاب عند أي مرحلة ؟**

**قال الدكتور الكسندر أن المكان الأنسب ليتوقف بها الكتاب هو بعد استشهاد الرئيس رفيق الحريري في العام 2005 وانسحاب الجيش السوري .**

**وحينما سألناه عن الفترة الزمنية التي يجب أن تعتمد لإعادة إصدار كتاب تاريخ وذكر الأحداث الجديدة ؟**

**أجاب مع كل جيل (25 سنة) ، يتجدد ويضاف إليه .**

**وقال هناك وثائق هناك دول تكشفها بعد 50 عاماً ودول أخرى بعد 80 عاماً ، أما برأيه الخاص فكل 25 عاماً مع كل جيل يجب أن يتغير ويضاف عليها الأحداث .**

**وأضاف آن الأوان كي يعتمد كتاب تاريخ للبنان موحد كل المدارس تدرس به ، حيث إذا بقيت كل طائفة وكل منطقة تدرس شيء مختلف كارثة لأننا حينها لن نلتقي على أواصر مشتركة لوطننا .**

**وفي اتصال آخر لموقع لبنان الجديد مع الدكتور عبد الله الملاّح وهو دكتور في تاريخ لبنان الحديث والمعاصر في الجامعة اللبنانية الفرع الثاني .**

**ففي سؤاله عن كتاب التاريخ الذي قد يعمد إلى تجميل بعض الوقائع لحساسية ذكرها ، وهل يحق لهم اللعب على التفاصيل ؟**

**أجاب الدكتور عبد الله ، لا أحد يحق له اللعب على التفاصيل أو تغيير الحقيقة ولكن يمكن أن يتم الإكتفاء بذكر الوقائع بطريقة لا تمس بأحد ولكن ليس على حساب الحقيقة .**

**وعن المرحلة التي يجب أن يبدأ منها هذا الكتاب ؟**

**يجب على الطالب أن يعلم تاريخه بلاده (الماضي) بإختصار وعرضه بمحطات والاتجاه للوقائع الحديثة والمعاصرة .**

**يجب أن يكون هناك عدالة في توزيع المعلومات فالتاريخ هو ماضي وحاضر ومستقبل .**

**وعن المرحلة التي يجب أن يتوقف الكتاب ؟**

**قال هناك فترة زمنية لا تكشف فيها الوثائق الدقيقة ، يجب مراعاة هذا العامل إذ أنه لا نستطيع عرض تاريخ البلاد استناداً للصحف .**

**هناك عرف دولي عالمي وهو أنه يجب أن يكون هناك 50 عاماً قد مرت على الحدث حتى تكشف وثائقه .**

**إذا ، وبعد الاتصالات التي قمنا بها ، والبحث الذي اعتمدنا ، نرى أن كتاب التاريخ ليس بمعضلة ، ولكن خوف أهل السياسة من مرآة حقيقتهم هو لب القضية وهو الذي يمنع إصداره ، فالأحداث ما زالت في الذاكرة والجرح ما زال ينزف ، والحل هو مواجهته حتى يكون لنا عبرة .**

**بإختصار ، أعطونا كتاب تاريخ ولا تشوهوا التاريخ ، فيا أهل السياسة في وطني واجهوا خطاياكم ولو مرة عسى أن تكون لكم مغفرة في هذا الكتاب .**

شعب من دون كتاب تاريخ موحد ... لن يتوحد

17 حزيران 2019 13:58:00

كتاب الأنباءوسام القاضي

التاريخ يكتبه المنتصرون. هذه المقولة التي تعلّمناها منذ الصغر توقفت في لبنان عام 1975، وتوقفت معها كتابة التاريخ الحديث مع اندلاع الحرب اللبنانية، حيث لم تشهد الساحة اللبنانية منذ انطلاق شرارة الحرب أي انتصار طويل الأمد لأي فريق، بل كانت المواقع تتغير وفق تغيّر الأوضاع الإقليمية والدولية، وبالتالي لم ينتصر فريق ليدوّن التاريخ وفق رؤيته الخاصة.

 بعد انتهاء الحرب وتوقيع اتفاق الطائف، جرت محاولات عديدة لدى المركز التربوي للبحوث والإنماء من أجل كتابة تاريخ لبنان الحديث. لكن كل تلك المحاولات باءت بالفشل، واصطدمت بالتناقض العميق بين الأطراف السياسية التي أعطت لنفسها حق الحكم التوافقي للبلاد، فكان لكل جهة قراءتها الخاصة للأحداث التاريخية، فكل واحدٍ ينظر من منظاره، ومن موقعه على الأحداث.

 لا يمكن إلغاء الأحداث التي مرت على لبنان من ذاكرة التاريخ، ولا بد من تدوينها في صفحاته كما هي دون زيادة أو نقصان، ودون إعطاء أي رأي من قِبل المؤرخين بما جرى، بل المطلوب فقط ذكر تسلسل الأحداث، وهذا لا يجب أن يصطدم بمعارضة أي فريق سياسي. فعلى سبيل المثال اندلعت شرارة الحرب مع مرور بوسطة عين الرمانة. وبغضّ النظر عن التحليل السياسي لهذه الحادثة، إلا أنها حدثت في المكان والزمان الثابتين. وعلى سبيل المثال أيضا نتج عن الاجتياح الإسرائيلي الأول عام 1978، استلام منطقة الشريط الحدودي من قِبل جيش لبنان الحر بقيادة سعد حداد. وهذا ثابتٌ لا لبس فيه، والبعض من اللبنانيّين يجدونه منقذاً لهم من سيطرة البندقية الفلسطينية على الشريط الحدودي، والبعض الآخر يرونه عميلاً إسرائيلياً. كما أنه، وفي عام 1982، في أعقاب الاجتياح الإسرائيلي، انتُخب بشير الجميل رئيساً للجمهورية.

وهذا أصبح ثابتاً لا لبس فيه، ويجب أن يدوّن في صفحات التاريخ، بغضّ النظر إذا كان المسيحيّون يرونه بطلاً قومياً، والمسلمون يرونه عميلاً إسرائيلياً؛ وصولاً إلى حرب الجبل، فقد كتب العديد من الكتاب كُتباً عن تلك المرحلة. فما العيب إذا تمّ ذكر الأحداث الواردة في معظم الكتب الخاصة بدقة وحرفية، دون الدخول في التحليل وإبداء الرأي.

يجب أن يُترك للقارىء وللطالب حرية تكوين تحليله الخاص، ورؤيته للأسباب الحقيقية لكل حدثٍ بعد قراءته لمجرياتها. كفانا وضع الرأس في الرمل كما تفعل النعامة. إن كافة الأحداث بتفاصيلها تُنقل كأحاديث، أو ككتبٍ متنوعة بين الناس، فلماذا تغييب كتاب التاريخ الموحّد؟ إن هذه الصيغة التوافقية التي يحكمون باسمها لا تدوم إلا إذا اعترف كل فريقٍ بوجود الآخر، وهذا الاعتراف ينطلق من الاحترام المتبادل لرؤية كل فئة لمبادئها ولشعاراتها، فكيف يسمحون لأنفسهم بخطابات تجييشية لشدّ العصب عند كل استحقاقٍ، ويجلسون بعدها مع بعض لتقاسم الحصص في توزيعات المكاسب من الدولة، وكأن شيئا لم يحدث؟ فإذا كنتم تخوّنون بعضكم بعضاً، فلماذا تجلسون سوياً تحت قبة البرلمان، وحول طاولة مجلس الوزراء؟

 لقد آن الآوان لوقف التكاذب والخداع. فإما وطن يحتضن الجميع، ولا يفرض فيه أي فريقٍ رأيه على الآخر، أو قسّموا البلاد كانتوناتٍ لمناطق مذهبية وطائفية، ولكل كانتون فلسفته وعقيدته في الحياة.

وحدة البلاد تتطلب بالدرجة الأولى كتابة تاريخ موحد، وذكرَ كافة الأحداث بدقةٍ علمية وتجردٍ فكري دون القفز فوق أي حدثٍ كبر أو صغر. إنها الطريق الوحيد التي تتلخص فيها احترام الشهداء والتضحيات لكل فريق، كلٌ وفق قناعاته واعتقاداته. ومن هنا ننطلق في وضع أسسٍ لبلد متطورٍ متقدم، هذا إذا صدقت النيّات لمن يحكمون باسم التوافق، ويعملون خفيةً على تحسين وضعهم على حساب الدولة ككيان.

# "حرب" من نوع جديد في لبنان

13-04-2016 | 12:57 **المصدر**: "النهار"

**يارا عرجة**

* **شارك على**
* fb
* tw
* [whatsapp](https://api.whatsapp.com/send?phone=&text=%22%d8%ad%d8%b1%d8%a8%22+%d9%85%d9%86+%d9%86%d9%88%d8%b9+%d8%ac%d8%af%d9%8a%d8%af+%d9%81%d9%8a+%d9%84%d8%a8%d9%86%d8%a7%d9%86%20https%3a%2f%2ftinyurl.com%2fy4tzcqd2)
* [telegram](https://telegram.me/share/url?url=https%3a%2f%2ftinyurl.com%2fy4tzcqd2&text=%22%d8%ad%d8%b1%d8%a8%22+%d9%85%d9%86+%d9%86%d9%88%d8%b9+%d8%ac%d8%af%d9%8a%d8%af+%d9%81%d9%8a+%d9%84%d8%a8%d9%86%d8%a7%d9%86)
* messenger
* linkedIn



##### "حرب" من نوع جديد في لبنان

**A+****A-**

أوّل جريمة اقترفها الإنسان بحقّ أخيه كانت قتل قابيل لأخيه هابيل. نتيجة لذلك كان على قابيل الضياع والهيام في الأرض كما ورد بالإنجيل: "ملعونٌ أنتَ من الأرض التي فتحَت فاها لتقَبَل دمَ أخيك من يدِك. متى عمِلْتَ الأرضَ لا تعودُ تُعطيك قوّتها. تائهاً وهارباً تكون في الأرض". هذه حال اللبنانيين، مسلمين ومسيحيين، الذين هُجّروا في بقاع الأرض نتيجة الحرب الأهلية. الجميع يعتبر أنّ ما حصل بين عامي 1975 و1990 خطأ دامٍ... حلم مزعج استفاق منه المسلم والمسيحي ليدخل كلاهما في غيبوبة لا نهاية مرتقبة لها.
هي "الأمنيزيا" الجماعية، أو فقدان الذاكرة، التي جعلت حياتهما معلّقة ونفوسهما مقيّدة، تماماً كلبنان الذي ما زال حتى كتابة هذه السطور وقف التنفيذ... فقدان الذاكرة هذا غذّاه قانون العفو العام الذي أقرّ عام 1991، فلم يترك للبنانيين غير خيار النسيان. ثمّة رغبة قاتلة لدى جيل الحرب من اللبنانيين في دفن ذكرى المعارك ونكران الماضي وألسنته اللاهبة: في خضام سرد حكايا السنوات الخمس عشرة الماضية وإسدال الستارة عن بوسطة عين الرمّانة وما تلاها من تداعيات أمنية، تخرج من أفواه الآباء والأجداد كلمة "أحداث" للتستر على عبارة "الحرب الأهلية". ولا تزال وجوه هذه الحرب ترخي بظلالها على مناحٍ عدة، منها عدم إصدار كتاب التاريخ الموحّد، والذي ما زال يشكّل مادة جدل بين الأفرقاء السياسيين والمؤرخين واللبنانيين.

**ماذا يعني عدم توافر كتاب تاريخ موحد؟**

غياب كتاب التاريخ الموحد عن المنهاج الدراسي خير دليل على الخلاف المستمرّ بين الطبقة الحاكمة في لبنان، والتي حملت السلاح خلال الحرب الأهلية اللبنانية. ففي عام 2011، في عهد حكومة الرئيس ميقاتي، شكُّلت لجنة برئاسة الوزير نقولا فتوش من أجل إعداد كتاب التاريخ الموحّد، ولكن محاولتها باءت بالفشل لأنّ تلك الحكومة كانت تمثل حينها طرفاً سياسياً معيناً. إذ اعترض حينها فريق 14 آذار على عدم ذكر ثورة الأرز والتظاهرات ضدّ النظام السوري عام 2005. كما اعترض النائب سامي الجميل على سرد أحداث مدينة زحلة عام 1981، معتبراً أنّ زحلة كانت حينها محاصرة وأنه يجب عدم وصف ما حصل بالحادث العرضي. كما اعتبر حزب الكتائب أنّ هذه النسخة من الكتاب لا تعترف بدور الحزب كمقاومة ضدّ السوريين والفلسطينيين منذ عام 1975 حتى عام 1990، إنما اعترفت فقط بمقاومة "حزب الله" ضدّ إسرائيل. حتى كتابة هذه السطور  لم تحسم الهوية اللبنانية: "لبنان ذو وجه عربي"، هذه العبارة المبهمة المتوافرة في الدستور اللبناني تُلقّن ببغائياً للتلاميذ في كتاب التربية المدنية. ونحن كلبنانيين لا نزال نستخدم عبارات مثل "بيروت الشرقية" و"بيروت الغربية" التي حتى لو كنّا نتلفظّ بها دون وعي، تدلّ على الانقسام وانتماء الفرد وليس المجموعة، لمكانين ضمن مكان واحد. كتاب التاريخ بشموليته، يعكس الهويّة اللبنانية الموحدة، وغياب هذا الأخير، يدلّ على التشتت والتفكك الذي ما زال يفتك بالنسيج الاجتماعي اللبناني، هذا لأنّ "المجتمع هو من يصدر كتاب التاريخ وليس الدولة" بحسب الدكتور أنطوان مسرّه، عضو المجلس الدستوري، رئيس كرسي الأونيسكو للأديان للمقارنة والوساطة والحوار في جامعة القديس يوسف الذي يضيف في حديث لـ "النهار"، "الدولة تنظم العمل، يجب أن تأخذ وزارة التربية والمركز التربوي للبحوث والإنماء الدور في هذا المعنى من جديد، كما نحتاج إلى أن يفكر المجتمع جدياً في هذا الموضوع لتصبح العملية مفيدة". وأخيراً، عدم وجود كتاب التاريخ الموحّد هو بمثابة حرب على الذاكرة اللبنانية الجماعية، هو تعزيز النسيان، وتنمية الخوف من الماضي والآخر، هو تفضيل الفردية على الوطنية. في هذا السياق، يقول مسرّه: "ثمة حرب ضد الذاكرة ولكن الكثير من الجمعيات بدأت تخطيها عبر إنتاج أعمال رائدة جداً. وعدم وجود كتاب التاريخ هو هروب من الماضي، ولكن هذا الأمر يتطلب المزيد من البحوث من المؤرخين. وهنا تكمن الخطورة، كل التراث الضخم والعيش معاً في لبنان والسلم الأهلي ينهار خلال الأزمات".

**كتاب التاريخ الموحّد هو الحلّ**

كان اتفاق الطائف بجميع بنوده، بمثابة سلاح ينهي المعارك الدامية ووسيلة لا بل مرجعية لبسط السلم الأهلي على أرض الوطن. وإلى جانب البنود الأمنية والعسكرية والحكومية التي أقرّها الميثاق، نصّ هذا الأخير على ضرورة إلزام اللبنانيين بالتعليم وإصلاح هذا القطاع، إضافة إلى "إعادة النظر في المناهج وتطويرها بما يعزز الانتماء والانصهار الوطنيين، والانفتاح الروحي والثقافي وتوحيد الكتاب في مادتي التاريخ والتربية الوطنية". من هنا، تبرز أهميّة الاتفاق على كتاب تاريخ موحّد يضمّ وجهات نظر كافّة الأحزاب السياسية والأطراف المسؤولين عن القتال خلال الحرب الأهليّة. توحيد كتاب التاريخ يساعد اللبناني في تخطي "الخوف من الآخر". تسليط الضوء على حكايا ضحايا الحرب وشهدائها وجرحاها، هو بمثابة عملية تكوين لوحة للذاكرة الجماعية اللبنانية. في هذا الإطار، يشير مسرّه إلى أنه "يجب عيش التاريخ بطريقة موحدة، يجب كتابة تاريخ اللبنانيين وليس لبنان، فقد استنزفنا تاريخ لبنان الدبلوماسي وتاريخ الحكام، حان وقت تسليط الضوء على تاريخ القتلى والضحايا". ويتحدّث مسرّه عن "عودة المكبوت في علم النفس العيادي والذي لا يمكن تخطيه إلاّ عبر التربية، أي عبر توحيد كتابة التاريخ. كلّ الأفرقاء في لبنان اكتسبوا المناعة وهم يتجنبون الفتنة ولكن الخطورة هي لدى الجيل الثالث والرابع. فمن تسبب بالحرب لن يكررها، من يفعل ذلك هم الأحفاد انتقاماً للأجداد، هذا إذا ما عمدنا إلى توظيف الذاكرة".

**لمَ لم يتمّ إصدار كتاب تاريخ موحد؟**

لعدم صدور كتاب التاريخ الموحد حتى اليوم سبب يتحدّث عنه مسرّه قائلاً إنّ اللجنة التي كان عضواً فيها بين عامي "1990 و2002، توصلت إلى وضع برنامج للتاريخ صدرت في الجريدة الرسمية بـ 90 صفحة، مع موافقة إجماعية من مجلس الوزراء وتأييد من كل القطاعات التربوية. ولكن عندما بوشر بالتطبيق لإصدار الكتاب، أحد الوزراء السابقين، لحجة ما لا لسبب منطقي أوقف العملية لأنّ الموضوع خطير. بمعنى أنّ إصدار كتاب موحد ينتج جيلاً جديداً من الشباب لديه مفهوم الحرية والاستقلال وهذا مرفوض من القوى الداخلية والخارجية المتعاون معها في لبنان. صحيح أنه أوقف هذا البرنامج ولكن المرسوم ما زال منشوراً في الجريدة الرسمية ولا يزال نافذاً ولم يلغَ". ويشير مسرّه إلى عوامل عدة أعاقت نشر الكتاب الموحّد الذي يشمل تفاصيل الحرب الأهلية وما يليها من أحداث حتى اليوم: "تلك العوامل ثقافية نفسية. فثمة مشكلات عدة في علم النفس التاريخي، فجميع اللبنانيين ينتظرون الباب العالي. ليس للمؤرخين بُعد في كتابة التاريخ: بعد 1943، تكلموا عن الوفاق الوطني ولبنان الكبير في كتاب التاريخ في سطرين بينما هو مرحلة تأسيسية فيها كلّ القيم اللبنانية من الوحدة والتضامن والعيش المشترك وكلّ ما يدافع عنه اللبنانيون". يؤكّد مسرّه أنّ "الخلاف ليس طائفياً ومذهبياً. بُني لبنان على المواثيق، وهي ليست اتفاقاً بين رجلين إنما هي نمط في البناء القومي للعديد من الدول في العالم، البناء ليس بالقوة والنار ولكن بالتسوية نتيجة عدم وجود منتصر. تحتاج ثقافتنا إلى تغيير، وما نفعله الآن هو إعداد المؤرخين لهذا النمط من الكتابة، فنحن بحاجة إلى مؤرخين محاسبين. كما يجب توجيه تعليم التاريخ لتفسير التاريخ. أي يجب أن أعطي التلميذ وثائق وأدعه يقرأ ليبني هو قناعته بدلاً من توجيهه".

كلّ يخشى العودة إلى حمل السلاح في ظلّ الأحداث المتتالية في لبنان ومن غرقه في بحر من الدماء كما حصل منذ 41 سنة. لا يجب الصمت ولا يجب الخوف والخجل، يجب التحدّث بصوت عال ودائماً عن تلك التجربة لنتعلّم من أخطائنا، لنثبت لأنفسنا وللآخرين أنّنا تمكنّا حقيقةً من تخطي الماضي والمضي في حياتنا. يجب أن نكتب لأنّ الكتابة علاج لكلّ داء، من خلالها نؤرّخ الماضي، نخلّد اللحظة ونضع ما في وجداننا من أحاسيس على الورق. كتاب التاريخ حاجة ماسّة لنا، فلنعد إلى مبادئنا ليعود الاستقرار إلى لبنان. فلنتكلّم ونكتب ونغني ونرقص لـ "تنذكر وما تنعاد".

# توحيد كتاب التاريخ في لبنان يتأرجح بين السياسة والحرية الأكاديمية

**الثلاثاء، 14 يوليو، 2015**

دراسة نفس المناهج في التاريخ توحد ثقافة التلاميذ وتكوينهم في المدارس اللبنانية

ينص البند المذكور الوارد تحت خانة إصلاحات حول التربية والتعليم: “إلزامية التعليم في المرحلة الابتدائية على الأقل، وحماية التعليم الخاص وتعزيز رقابة الدولة على المدارس الخاصة وعلى الكتاب المدرسي، وإصلاح التعليم الرسمي والمهني والتقني وإصلاح أوضاع الجامعة اللبنانية ولا سيما في كلياتها التطبيقية. وإعادة النظر في المناهج التربوية وتطويرها بما يعزز الانتماء والانصهار الوطني، والانفتاح الروحي والثقافي وتوحيد الكتاب في مادتي التاريخ والتربية الوطنية”.

وتشكلت عدة لجان من باحثين ومؤرخين بهدف صياغة كتاب تاريخ موحد لكنها كانت تتعثر في كل مرة ويكون مصيرها الفشل. والثابت حتى الآن هو أن المسالة ما زالت معلقة بين قرار رسمي بتوحيد كتاب التاريخ وبين صعوبة تحقيقه.

ويتفق المؤرخون والباحثون اللبنانيون أن توحيد كتاب التاريخ ليس ضرورة وطنية. فالتاريخ ليس مادة علمية بحتة مثبتة بالبراهين، حسب تعبير للمؤرخ اللبناني الراحل كمال الصليبي، بل هو أقرب إلى فن الطب القائم على تحكيم العقل في المعلومات. من ناحيته يرى المؤرخ عصام خليفة أن كتاب التاريخ لا يوحّد المجتمع، “فالمجتمع يتوحّد قبل ذلك في المنزل والحزب والمدرسة”.

وينص الدستور اللبناني في مادته العاشرة على أن التعليم حر ما لم يخلّ بالنظام العام أو ينافي الآداب أو يتعرض لكرامة أحد الأديان أو المذاهب ولا يمكن أن تمس حقوق الطوائف من جهة إنشاء مدارسها الخاصة، على أن تسير في ذلك وفقا للأنظمة العامة التي تصدرها الدولة في شأن المعارف العمومية.

وبما أن النص الدستوري يكفل حرية التعليم فإن وزارة التربية قد عملت على تطبيقه طوال مرحلة الاستقلال. فمُنحت الحرية لدور النشر والمؤلفين بإصدارات مختلفة لكتب التاريخ طالما أنها لا تثير الحساسيات الطائفية وتخدم الوحدة والانصهار الوطنيين. وتركت للمدارس الخاصة والرسمية حرية اختيار أي كتاب من الكتب المتوفرة لدى دور النشر، اقتداء بالدول الديمقراطية التي تتيح لمدارسها حرية اختيار مناهج دون أي توجيه بخلاف الأنظمة الشمولية التي تعتمد في كتب التاريخ والتربية الوطنية على منهاج يمجد عقيدة النظام ويسوّق لها.

*لا يعتبر التلاميذ مادة التاريخ مادة ثقافية لأنها ليست دراسة لحالة أو واقع مدني بل هي سرد لأحداث الماضي*

وتعتمد المدارس الرسمية والخاصة نسخا متعددة من كتاب التاريخ تقارب العشرين. لكنها تقتصر على عرض تاريخ لبنان لغاية فترة استقلاله أما التاريخ الحديث فيصعب أن تتوفر له قراءات موضوعية. ويقول المؤرخ مسعود ظاهر في هذا السياق إن مرحلة الاستقلال وحتى بداية الحرب الأهلية عام 1975 تميزت بحرية التأليف والنشر للكتب المدرسية، ومنها كتاب التاريخ المدرسي.

“لكن انفجار الحرب الأهلية حمل معه سيلا من الكتب المدرسية بالإضافة إلى دراسات تاريخية تعبر عن آراء مؤرخي الطوائف ولا تحترم الحد الأدنى من شروط البحث الأكاديمي في لبنان. ففي عام 2008 كان هناك أكثر من عشرين سلسلة من كتب التاريخ المعتمدة لتدريس مادة التاريخ في لبنان. إلا أن المادة نفسها لم تحظ بأكثر من حصة واحدة من أصل 33 حصة في الصفوف المتوسطة والثانوية، وبنسبة 3 بالمئة من المنهاج العام، مقابل 18 بالمئة لتدريس مادة الرياضيات و15 بالمئة لتدريس اللغة العربية أو الفرنسية”.

وفي بحثه حول المسألة يعتبر الكاتب والمؤرخ ظاهر أن أزمة كتاب التاريخ المدرسي الموحّد في لبنان المستمرة منذ عام 2001 حتى الآن تثبت أن مادة التاريخ في المدارس اللبنانية مسألة سياسية في غاية الخطورة والأهمية، لأن “أي خلاف نظري أو إيديولوجي حول كلمة، أو صورة، أو حدث تاريخي، أو تأويل، أو تفسير يعرّض المقرر برمته إلى الإلغاء وإلى تعليق العمل به، أو تجميد طباعة الكتاب أو سحبه من المدارس وحذف ساعات التاريخ من الجدول الأسبوعي باعتبارها مادة خلافية.

وهذا ما حصل فعلا خلال العام الدراسي 2001-2002 حين صدر قرار وزاري بالتوقف عن تعليم مادة التاريخ في مدارس الجمهورية اللبنانية حتى إشعار آخر. وذلك يتطلب بعض الحلول العلمية لمشكلة كتاب التاريخ المدرسي الموحد انطلاقا من هواجس وطنية وتربوية في آن واحد”.

كما يرى ظاهر أن فرض كتاب موحّد لتدريس مادة التاريخ في المدارس الخاصة والرسمية يناقض الدستور اللبناني، ويتعارض مع تاريخ التعليم الحر الذي تتميز به لبنان منذ تأسيسه، “فالكتاب المفروض بإرادة فوقية يسيء إلى الطالب، والأساتذة، والعملية التربوية بكامل أبعادها. ولا يحقق أيا من الأهداف التي تتوخاها وزارة التربية الوطنية.

*الحرب الأهلية حملت معها دراسات تاريخية تعبر عن آراء مؤرخي الطوائف ولا تحترم شروط البحث الأكاديمي*

فالطالب اللبناني ليس معزولا عن وسائل الإعلام، ولا يمكن فصله عن مصادر المعرفة التاريخية الأخرى. كما أنه محاط بالمواقف السياسية والطائفية اليومية والمدرسة ليست معزولة عن البيئة المحيطة بها، كما أن التلميذ ليس معزولا عن بيئته. وليس بمقدور الكتاب المدرسي الموحّد أن يقدم له وقائع تاريخية نهائية لا تقبل الشك، بل عليه أن يعلمه كيف يتعاطى مع الأحداث التاريخية بروح نقدية تنمي لديه حس المواطنة وكيفية حماية الوطن من مخاطر النزاعات المحلية والتدخلات الخارجية”.

إلياس التوم أحد أساتذة المدرسة الرسمية اللبنانية. درّس التاريخ على مدى أربعين عاما. يقول لـ“العرب” “بالنسبة لمادة التاريخ يختلف اهتمام الطلبة بها ويعتمد على من يقوم بتدريسها، البعض يراها مادة جافة أو سرد قصصي للحوادث عبر التاريخ. أما البعض الآخر فيعتبرها علامة استلحاق بما معناه تساعد على تحصيل علامات أكثر وهي مادة سهلة. بشكل عام لا يعتبر التلاميذ هذه المادة مادة ثقافية لأنها ليست دراسة لحالة أو واقع مدني بل هي سرد لواقع وأحداث

[](https://lkdg.org/)

* [**الصفحة الأولى**](https://lkdg.org/)

* [**حول البوابة**](https://lkdg.org/ar/about)

* [**للإتصال**](https://lkdg.org/ar/contact)
* [الدخول](https://lkdg.org/ar/user)

## كتاب التاريخ المدرسي الموحّد في لبنان يتطلب مقاربة علمية للمنهج أي محاولة لاختزال التعليم بالتلقين لأسباب سياسية مصيرها الفشل!

23-09-2011

أصبح تبني مشروع تطوير كتاب تاريخ مدرسي موحد في لبنان طقساً من طقوس الحكومات الجديدة المتتالية في لبنان، والتي غالباً ما تضم هذا المشروع الى اولوياتها لتأكيد التزامها تحقيق الانصهار الوطني ومكافحة الطائفية.

ولد مشروع توحيد كتب التاريخ في لبنان اثناء اتفاق الطائف كأداة لبناء وطن آمن وللقضاء على الطائفية. ومنذ ذلك الوقت والى الآن تشكلت لجان عدة لتأليف منهج التاريخ، آخرها كانت لجنة في عهد الوزير السابق الدكتور منيمنة. وتكمن صعوبة هذه المهمة في اتفاق ممثلي جميع الطوائف التي تتكون منها لجان التأليف على رواية واحدة للحوادث لا تنتقص من انجازات وبطولات أيٍ من الطوائف اللبنانية. وعلى الرغم من صعوبة المهمة الا ان عدداً من هذه اللجان نجحت في تأليف منهج موحد تم التصديق عليه من حكومات سابقة. بل وقامت بعض هذه اللجان بطباعة هذه الكتب بيد أن الخلاف على عدد من العبارات علق اصدارها أيام الوزير السابق عبد الرحيم مراد.
وللوهلة الاولى يبدو اقتراح توحيد كتب التاريخ في لبنان أمراً منطقياً، ولكن ان نظرنا الى هذه الاطروحة من وجهة نظر علمية مدعمة بالادلة والبحوث فلا بد لنا من طرح السؤال الآتي: هل فعلاً باستطاعة كتاب تاريخ موحد ان يوحد اللبنانيين ام اننا نجري وراء سراب؟ النقاش الذي يدور حالياً في لبنان ينحصر في كيفية الاتفاق على رواية واحدة لسرد تاريخ لبنان وليس ما اذا كانت هذه هي الوسيلة الأنجع لتعزيز الوحدة الوطنية.
ان المبدأ الذي بنيت عليه فرضية تأليف كتاب تاريخ يوحد اللبنانيين حول هوية واحدة غير مدعمة بأي ادلة وبراهين، بل انه يوجد براهين عدة تدل على عدم فاعلية هذه الفرضية. فاحدى رسالات الماجستير التي اشرفت عليها في جامعة اكسفورد (Naylor, 2010) والتي تضمنت تحليلا لمضمون ابرز اربعة كتب تاريخ تدرس حالياً في غالبية المدارس اللبنانية، اظهرت مدى التشابه الكبير في مضمون هذه الكتب، اذ انها صممت لتتوافى مع المقرر الرسمي والذي سيمتحن فيه التلامذة في الامتحانات الرسمية. وهذا لا ينفي ان مدارس اخرى في لبنان تدرّس كتباً مختلفة المضمون في الصفوف التي ليس فيها امتحانات رسمية، الا ان غالبية اللبنانيين وتحديداً في المدارس الرسمية يدرسون كتب تاريخ مماثلة. وبما ان معظم التلامذة في لبنان، خصوصاً في المدارس الرسمية يدرسون حالياً كتب تاريخ متشابهة المضمون، من البديهي ان نتساءل ما اذا كان هؤلاء التلامذة لديهم آراء سياسية متشابهة وانتماء وطني اكبر من انتمائهم الطائفي؟.
وقد يرى البعض بأن السبب وراء فشل كتب التاريخ الحالية هي انها لا تغطي فترة الحرب الأهلية، اذ ان معرفة التلامذة بهذه الحقبة التاريخية المهمة في لبنان تقتصر على روايات يتلقفها الجيل الجديد من اهاليهم او بيئاتهم المحلية او احزاب طوائفهم. وغالباً ما تكون هذه الروايات مطعمة بنكهات كل طائفة، فتركز كل منها على مظالم الطائفة من دون الأخريات مورثة ضغائن الماضي ومعمقة للحس الطائفي لديها حتى يومنا هذا. وبالتالي، فمن البديهي ان تعمل الدولة على تقديم رواية واحدة رسمية للحرب الاهلية وزرعها في عقول الاجيال الجديدة وامتحانهم في مدى حفظهم لها بهدف ايجاد ذاكرة جماعية. ومقاربة كهذه لا تتناقض ومبادئ التعليم فقط، بل انها مقاربة ساذجة تستهين بعقول التلامذة والأساتذة وتفترض بانهم افراداً من دون آراء او ولاءات مسبقة.
أما المثال الثاني على الاثر السلبي لاعتماد مقاربة توتاليتارية لتعليم التاريخ يأتي من الدول العربية الشقيقة. فلقد سهلت الانظمة غير الديموقراطية في غالبية الدول العربية وثقافة الابيض والاسود التي تتميز بها مجتمعاتنا العربية عملية تطوير كتب تاريخ موحدة حافلة بمآثر هذه الدول وزعمائها. وفي حين هُيئ للبعض نجاح عملية غسل الادمغة الا ان الاساطير الرسمية التي حفظتها هذه الشعوب بدأت بالانهيار مع وفرة مصادر المعلومات المختلفة. وارجحية فشل مثل هذه المحاولة التوتاليتارية في لبنان هي اعلى بكثير في ظل تعدد وسائل الاعلام والتعبير عن الرأي الى حد اكبر منه في الدول العربية الاخرى.
ان مشكلتي كباحثة في التعلم والتعليم مع تأليف منهج موحّد للتاريخ لا تكمن في معارضتي لفكرة مشروع تأليف كتاب موحد أو لأن هذه الفكرة ستبوء بالفشل في تحقيق هدفها، بل يتمركز نقدي حول الفلسفة التعلمية التي ينطلق منها المشروع. فقد لاحظت من خلال قراءتي للمناهج التي طورتها اللجان المختلفة (والتي نادراً ما شارك في وضعها متخصصو تعلم وتعليم، اذ اقتصر وضع المنهج على المؤرخين بينما من الضروري وجود كلا التخصصيين) بأنها مبنية في شكل كبير على تلقين التلامذة لمعلومات غير قابلة للتشكيك او النقاش. ومن اللافت للانتباه غياب اي تصور اوتحديد للاهداف العامة للمناهج الجديدة المقترحة، ويتركز لب العمل على اختيار المواضيع التي سوف يذكرها او يغفلها المنهج. وعلى الرغم من تضمن الاهداف الخاصة بكل محور لأساليب تحليلية، الا ان نتائج التحليل قد حسمت عبر تحجيم الاجابة واقتصارها على النص الرسمي، إذ ان التقويم سوف يكون على مدى قدرة التلامذة على استرجاع المعلومات.
إذاً ما هو الحل لمشكلة التعصب الطائفي عندنا من وجهة تربوية؟
أولاً، يتنافى مفهوم التعلم والتعليم كليا مع مبدأ التلقين واي محاولة لاختزال التعليم بالتلقين لأسباب سياسية حتى ولو لأغراض نبيلة ستبوء بالفشل. فعوضاً عن محاولة تهميش العملية التعلمية وقصرها على الحفظ، يجب استثمار اساليب التعليم غير التلقيني في معالجة آفات التعصب وتعزيز مفاهيم الديموقراطية. ولسنا في حاجة الى استيراد أي تجارب من الخارج اذ لدينا في لبنان امثلة على هذا النجاح. فلقد اجرى مركز الدراسات اللبنانية دراسة شملت استبيانا لـ900 تلميذ وتلميذة ثانويين في 26 مدرسة رسمية وخاصة (دينية وغير دينية) مثلت ابرز الطوائف في المدن والارياف في لبنان وتضمنت مقابلات مع الاداريين ومعلمي مواد التاريخ والتربية وعلم الاجتماع. ضمت معظم هذه المدارس غالبية من طائفة واحدة الا ان ستا منها ضمت تلامذة من طوائف ومذاهب مختلفة. وقد هدف البحث الى التعرف على توجهات التلامذة السياسية والاجتماعية والتعرف على العوامل التربوية التي تؤثر في اختلاف هذه التوجهات. واظهرت نتائج الدراسة ان اساليب التعليم والبيئة المدرسية كان لها اثر كبير في التأثير على اراء التلامذة السياسية والاجتماعية بالرغم من اختلاف خلفياتهم الاجتماعية. والمدارس التي سجل فيها التلامذة ادنى مستوى من التعصب الطائفي هي المدارس التي تميزت أساليب التعليم فيها بتركيزها على تطوير المهارات التحليلية والنقدية وممارسة القيم الديموقراطية والمواطنية الناشطة في المدرسة، مما انعكس في القدرات العالية لدى التلامذة على التحليل النقدي ورفض العبارات الطائفية او التي تميز على اساس الدين، العرق، او الجنس. وفي المقابل تميزت المدارس التي سجلت اعلى نسب للأراء الطائفية والعنصرية والجنس لدى تلامذتها باعتمادها اساليب تعلمية تلقينية اقتصرت فيها التربية على المواطنة على حفظ مبادئ وقوانين الديموقراطية، في حين انعدمت اي فرص للتلامذة لممارسة واختبار هذه القيم.
إن الحل لمواجهة الطائفية يكمن في كيفية تطوير قدرات التلامذة على تحليل ونقد مصادر متعددة والتدقيق في مدى قوتها وصحتها. ولتحقيق ذلك يجب اتباع مقاربة علمية لتعليم التاريخ كغيره من مواد المنهج وعدم اختزاله في عملية سرد قصص عن الماضي. فكما يتعلم التلامذة حل المسائل الرياضية ويطوروا قدراتهم الفكرية الرياضية، فباستطاعة التلامذة ان يطوروا مهارات واساليب التحليل التاريخي المنهجي. وقد اتبعت بريطانيا هذا الاسلوب منذ حوالى العقدين على رغم تشكيك الكثيرين، الا ان التجربة شهدت تسجيل نجاحات كبيرة.(النهار 6آب2011)
وزارة التربية سمحت لتلامذة المدارس غير المرخصة بالتقدم استثنائياً إلى الامتحانات لمرة واحدة
اتخذت اللجنة المتخصصة في وزارة التربية والتعليم العالي المكلفة بمرسوم ايجاد حل للتلامذة الذين درسوا في مدارس غير مرخصة قانونا ، قرارا بالسماح لهؤلاء التلامذة الذين بلغوا صفوف الشهادات الرسمية بأن يتقدموا الى الدورة الاستثنائية من الامتحانات الرسمية في صورة استثنائية ولمرة واحدة فقط ، وحملت أهاليهم المسؤولية ، ودعتهم الى التنبه في المستقبل وعدم تسجيل اولادهم في مدارس غير موجودة قانونا.
ورفعت اللجنة المتخصصة اقتراحا الى وزير التربية والتعليم العالي عن طريق المدير العام للتربية بقفل المدارس المخالفة في صورة نهائية والتي سببت هذه المشكلة لكي لا تستمر في مخالفتها وترتب نتائج غير قانونية يتحملها الأهل والتلامذة.(النهار 4 آب2011)

Bottom of Form

* [فاتن الحاج](https://al-akhbar.com/Author/9)
* [Monetized by optAd360](https://www.optad360.com/#_blank)

إذا وقع عراك بين شخصين وأصيب أحدهما، وأردنا أن نعرف بعد 5 دقائق ماذا حدث، فقد نصادف شهوداً رأوا الحادث فعلاً وآخرين لم يروا شيئاً ولكن يدّعون أنّهم رأوا ويختلقون روايات عمّا جرى. أما الروايات فتتعلق بالموقع الذي كان فيه الشهود؛ فمن كان منهم في جهة اليمين سيقدم مقاربة مختلفة للمشهد عمّن كانوا يشاهدون الحادث من ناحية اليسار. وهناك فرق بين رواية من كان فوق ومن كان تحت. ويختلف الأمر طبعاً تبعاً للاستعداد النفسي للراوي؛ فمن يروي وهو جائع ليس كمن يقصّ وهو متحمّس.

«هذا بالضبط ما يحصل عند كتابة التاريخ»، يقول مستشار التعليم العالي في مكتب اليونيسكو الإقليمي في بيروت د. عدنان الأمين، خلال ترؤسه إحدى جلسات المؤتمر التربوي الثالث للهيئة اللبنانية للعلوم التربوية بعنوان «تعلم مادة التاريخ وتعليمها: دروس من لبنان وللبنان». لكنّ الرواية هنا تفتقد، بحسب الأمين، مع مرور الزمن، المصادر، ويجري تبسيطها وتمزيق الروايات الأخرى تبعاً للمصالح المتنوعة. وتصبح كتابة التاريخ، برأي الخبير التربوي، أكثر تعقيداً في بلد يشدد فيه اتفاق الطائف على توحيد كتاب التاريخ، فيما تتعدد فيه الروايات ويتعدد المؤرخون والكتّاب، في بلد سيقرأ فيه المعلمون الكتاب الموحد بطرق مختلفة تبعاً لمرجعياتهم.

ad

ومع ذلك، فالحاجة إلى كتاب موحّد ملحة، كما قال، في افتتاح المؤتمر، وزير التربية حسن منيمنة، «بعدما أصبح التاريخ مادة تعبئة إيديولوجية ومجالاً للانغلاق وتضخيم الخصوصيات التي تحولت في لبنان إلى جزر ثقافية منفصلة بعضها عن بعض». وتحول التعليم غير المنضبط للمادة، برأي منيمنة، إلى سوء استعمال لحقائق التاريخ ووثائقه وفوضى، و»الأسوأ أنّ هذا التعليم بات وسيلة لبناء ولاءات سياسية لا تعترف بوطن يقوم على الشراكة».
لا يوافق أستاذ التاريخ العثماني في الجامعة اللبنانية د. عصام خليفة على اعتماد كتاب موحد بل مناهج مدرسية موحدة، على أن يكون هناك مجلس أعلى في إطار المركز التربوي يشرف على إصدار كتاب مدرسي ويكون له حق مناقشة كل كتاب مدرسي في مادة التاريخ يصدر عن مؤلفين آخرين.
وخلال ترؤسه جلسة عن مشكلات تدريس التاريخ وسبل معالجتها، ساق خليفة مجموعة أسئلة للتفكّر فيها عند كتابة التاريخ وتدريسه: «كيف نستطيع أن نوفّق بين حرية الفكر والبحث وتعدد وجهات النظر، وفرض وجهة واحدة في كتاب مدرسي موحّد؟ كيف يمكن أن نمنع الأساتذة المتنوّعي الآراء من طرح مقاربات متعددة لتحليل أحداث الماضي؟ هل سندرّس تاريخ المناطق ونهتم بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية أم سنكتفي بالأحداث السياسية؟ كيف نفسّر لطلابنا الأحداث العنفية الطائفية، وهل مردود التفسير يقوّي عوامل التعصب أم يعزز حس المواطنة؟
لماذا خصصت فقط ساعة واحدة لهذه المادة في المناهج؟».
وشرح أستاذ التاريخ في جامعة الموصل في العراق د. نايف شبيب كيف أنّ المشكلة العلمية هي آخر المشكلات التي تخطر في بالنا في الدول العربية عند تدريس التاريخ، وغالباً ما تتقدمها المشكلات الدينية والقومية والمذهبية والوطنية. أما في العالم المتقدم، فالمشكلة العلمية هي الأولى، بحسب شبيب، على الرغم من أنّ دوله «تتكون من خليط قومي أو ديني أو مذهبي أكثر تعقيداً ممّا هو موجود في مجتمعنا». لذا، دعا إلى إبراز الجوانب الحضارية في تاريخ كل بلد على حساب الجانب السياسي.

ad

رئيس المؤسسة اللبنانية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية د. بطرس لبكي هو أيضاً يعتقد أن تعليم التاريخ الاقتصادي والاجتماعي اللبناني والمشرقي يسهم في تبريد الاحتقان الطائفي في أذهان الدارسين وفي تنقية التصورات المسبقة الشائعة. كذلك فإنّ هذا الجانب يساعد، برأيه، على إرساء وحدة مجتمعية تقبل بالتنوع عبر تسليط الضوء على التعاون بين الأهالي، مهما كانت انتماءاتهم الدينية والإثنية، في انتاج الثروة وتوزيعها.
أما الأستاذ في كلية التربية في الجامعة اللبنانية د. سيمون عبد المسيح فتوقف عند طريقة تدريس المادة عبر وضع التلامذة في وضعية الصراع المعرفي بجعل تصوراتهم السابقة موضع تساؤل، وتطوير الصراعات السوسيو ـــــ معرفية في الصفوف، أي التفاعلات في الصفوف، والعمل بطريقة فردية أو بمجموعات ثنائية أو بالمجموعة ــــ الصف في استراتيجيات متماسكة.
وفي أزمة كتاب التاريخ المدرسي، تحدث الأستاذ في كلية الآداب في الجامعة اللبنانية د. منذر جابر عن بداية تشكل مادة التاريخ مادةً مستقلة في المناهج العاملة على امتداد المناطق اللبنانية وفي مختلف أنواعها، من رسمية عثمانية أو مدارس أهلية إرسالية أو محلية. وتوقف عند ارتباط هذه المناهج بأهداف الإرساليات الأجنبية العاملة وبالصراع المحموم في ما بينها من جهة والتزامها بالتوازنات السياسية على المستوى المحلي أو العثماني.
ورأى أستاذ التاريخ في جامعة بيروت العربية د. حسان حلاق أنّ تعدد كتب التاريخ وتنوّعها واختلاف مضامينها هي من جملة الأسباب الرئيسية في انقسام اللبنانيين في عهود الانتداب الفرنسي أو في عهود الاستقلال، وسواء قبل الحرب اللبنانية 1975 أو بعدها.

ad

ولم تستطع جميع محاولات وزراء التربية بين عامي 1990 و2011 إصدار كتاب موحّد، لأنّه ليس هناك اتفاق على العيش الواحد، ومن يستشهد في سبيل قضية هو شهيد للطائفة وليس للبنان. ويسرد واقعة حصلت بين ثلاثة طلاب جامعيين يناقشون الأمير فخر الدين، فقال الطالب الأول إنّ الأمير درزي، فبادره الثاني بأنّه سنّي ومتزوج من 4 سيدات وكان يصوم رمضان، وعلّق الثالث أنّ الأمير المعني لم يمكن درزياً أوسنيّاً بل نصرانياً، وتوفي والصليب على صدره.
ومع ذلك، يعتقد حلاق أنّ توحيد كتاب التاريخ من دون ضوابط إعلامية لن يؤدي إلى توحيد اللبنانيين.
«مع التاريخ الموحّد وضد الكتاب الموحّد»، هكذا يعلن المدير العام لمدرسة البيان في البحرين د. نخلة وهبة رفضه لكتاب التاريخ المدرسي الموحّد الذي يؤدي إلى محاصرة متشددة للمعرفة التاريخية التي تصبح متلوّنة وقابلة للتشكيك انطلاقاً من قانون العرض والطلب السياسي المحكوم بمعادلة موازين القوة على ساحة السلطة. ومن شأن التوحيد أيضاً أن يقود، برأيه، إلى حتمية التقويم السلبي لكل انحراف عن الإجابة النموذجية، وأن يلغي الحشرية العلمية ووسوسة التقيد بحرفية الرواية الرسمية. فالطالب المواطن يخضع للضغوط لحفظ رواية وحيدة ولا يعطى فرصة قراءة روايات أخرى بديلة.
يخالف المدير العام لتعاونية موظفي الدولة وعضو اللجنة الوطنية لتوحيد كتاب التاريخ أنور ضو وهبة الرأي، «فحرية التعليم التي كفلها الدستور أدت إلى تعددية تربوية لم تعزز التماسك الاجتماعي، وبالتالي فإنتاج كتاب تاريخ موحد ممكن وليس مستحيلاً، وحتى لو شابته بعض الهنات الهينات يبقى أفضل بكثير مما هو قائم حالياً من موزاييك في الكتب الملونة بألوان الطوائف والمذاهب التي لا تخدم إلاّ مشاريع التجزئة والانقسام».

ad

**الطلاب لا يقرأون التاريخ بسذاجة**

بدا لافتاً في مؤتمر تعليم التاريخ الذي نظمته الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية استقدام التجارب العالمية في تعليم التاريخ، وخصوصاً في مجتمعات ما بعد النزاعات، والتي أغنت النقاش. فقدم الخبير التربوي د. أرثور شابمان ورقة عمل عن تنمية مفاهيم التفسير التاريخي لدى الطلاب، وقال إنّ الطلاب يودّون معرفة الأسباب الحقيقية وراء الاختلاف في سرد الوقائع التاريخية، ويستخدمون مصطلح «التحيّز الشخصي» وهم يفهمون أنّ عمل المؤرخ يتطلب الكثير من التحليل المنطقي والتأويل من دون تصديق ما يسمعونه بسذاجة. وتحدثت ماريا جورجيو من جامعة لندن عن حالة طلاب قبرص الذين يعتقدون أنّ كتب التاريخ لا تعلمهم الحقيقة، وبالتالي هم ليسوا واثقين من ضرورة دراسة التاريخ. وتناول د. جورج ستوبر من المعهد العالمي لمراجعة الكتب المدرسية في أوروبا تجربة الكتاب المدرسي الفرنسي الألماني الذي لم يطبّق نظراً إلى الخلافات عليه. ولفتت د. جوك فان دير لييو رود (الصورة) من الرابطة الأوروبية لتعليم التاريخ إلى أنّ تعليم التاريخ المسؤول يحتاج إلى الرغبة السياسية الحقيقية.